المجلة الجديدة

صور و لمحات
من
حياة طالب في أوربا

تأليف

جورج وهبه العفى

مطبعة الصحة الجديدة

سبتمبر ١٩٣٧

The Aga Khan Fund
for Islamic Art and Architecture

Harvard College Library

OL25065.750

521700

المجلة الجديدة

صور ولمحات
من
حياة طالب في أوربا

تأليف

جورج وهبه العفي

مطبعة المجلة الجديدة

سبتمبر ١٩٣٧

صور ولمحات
من
حياة طالب في أوربا

تأليف

جورج وهبه العفي

مطبعة المجلة الجديدة

تمهيد

قدمنا هذا الكتاب هدية لقراء المجلة الجديدة عن شهر سبتمبر سنة ١٩٣٧ وهو اختبارات طالب مصرى فى معاهد باريس وغيرها . وقد اضاف الى هذه الاختبارات مشاهداته فى الاقطار المختلفة . ولسنا نشك فى ان القراء سيجدون فى هـذه الاختبارات والمشاهدات متعة ولذة كبيرتين

السفر الى باريس

٢٣ اكتوبر ... كان ذلك يوم شددت الرحال الى فرنسا على ظهر الباخرة « بروفيدانس » من بواخر شركة المساجيرى ماريتيم التى تقوم بنقل المسافرين بين الاسكندرية ومارسيليا ولها خطوط أخرى كثيرة تصل بين فرنسا ومستعمراتها فى آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية . وكنت فى رحلتى نهب مشاعر وأفكار غريبة شتى وأنا قادم على بلاد أجنبية لاأعرف عن أحوالها وعادات أهلها وطرق معيشتهم إلا الشىء الطفيف ولم تكن معرفتى باللغة الفرنسية تزيد على طالب بكالوريا متخرج من المدارس الأميرية . قضيت اليوم الأول وحيدا وكان رفاقى فى الغرفة ثلاثة من الفرنسيين لم أفهم شيئا من حديثهم فى بادىء الأمر . وتعرفت فى اليوم التالى على احد الشبان المصريين كان يدرس فى جامعة مونبلييه وهو يعرفها جيدا . أخذ يحدثنى عن فرنسا ومايحمله بين جوانحه من ذكرياتها اللذيذة . لقدكان سعيدا بعودته الى مونبلييه. الى رفقائه وأصدقائه. الى حياته الجامعية بين زملائه واساتذته . وهو لايشعر بالغربة فى هذه البلاد الأجنبية . وقدمنى هذا الشاب بعد قليل الى سيدة فرنسية تشتغل بالمحاماة فى بلادها . ثم الى (ع.ف) و (خ . ك) وهما من شباب سوريا المثقف يقصدان باريس الأول لدراسة الطب والثانى بمدرسة الهندسة فى كاشان احدى ضواحى باريس . وعرفنا بعد ذلك بعض الشبان من يهود فلسطين يقصدون أوربا أيضا لطلب العلم وكان لهم بعض الالمام باللغة العربية . كان البحر غاية فى الهدوء فلم نشعر بدوار البحر. وفى مساء اليوم الثالث رأينا عن يميننا بلادا ايطالية صغيرة مشيدة على سفوح الجبال وقد أضيئت بيوتها وشوارعها فكان منظرا بهيجا رائعا. والى اليسار بركان سترمبولى وقد انعكست أضواء لهيبة على صفحة السماء . وهذا المنظر لاينسى المسافر روعته وسحره . بقينا على ظهر الباخرة ونحن نجيل النظر فى كل مايحيط بنا الى ساعة متأخرة من الليل عدنا بعدها الى مخادعنا

هذه طولون ميناء فرنسا الحربى تبدو عند الأفق وبعد بضع ساعات نصل الى مارسيليا وتطأ أقدامى الأرض الفرنسية لأول مرة . وأخذ زميلى الطالب المصرى يصف لى ماتراه من مدن الشاطىء ونحن نقترب من ميناء مارسيليا

وأول مايراه الانسان منها كنيسة « نوتردام دولاجارد » القائمة على مرتفع عظيم يشرف على المدينة . دنت بنا السفينة عند الظهر تقريبا فذهبنا توا الى محطة السكة الحديدية (محطة سان شارل) لشراء تذاكر السفر. وأودعنا أمتعتنا فى مخازن المفش مقابل مبلغ تافه إذ كان علينا أن ننتظر أكثر

من سبع ساعات فى ميناء فرنسا العظيم قبل أن يسافر صديقى الى مونبلييه وأنا الى باريس

كان عندنا من الوقت مايكفى لزيارة أهم أنحاء المدينة فصعدنا الى كنيسة «نوتردام دولاجارد» المشيدة على ربوة عالية وشاهدنا تمثال العذراء وابنها وهو تمثال هائل الحجم يراه المسافر فى البحر وقد انعكست عليه أشعة الشمس فزادت من روعته وجلاله . والكنيسة من الداخل مزينة باللوحات الفنية والرسوم الدينية القديمة وقد خيم سكون عميق . تمر أمام تلك الصور فى خشوع وصمت حتى لاتقطع على المصلين من النساء والرجال والأطفال صلواتهم . يأتى اليها البحارة كى يشكروا ربهم على وصولهم سالمين الى وطنهم وتذهب أمهاتهم وزوجاتهم ضارعين الى الله أن يحفظ أبناءهم أو أزواجهم البحارة فى تلك الأقطار النائيه أو وسط أمواج البحر الثائرة الغاضبة

ذهبنا بعدها لزيارة حديقة الحيوان والنبات فى قصر « لونج شان » بعد أن مررنا بالميناء القـــديم « لوفيو بور » وهنا عجبت أشد العجب إذ رأيت بعضا من الشوارع التى تحيط بالميناء غاية فى القذارة . ويرتدى أهلها الأسمال القذرة . عجبت لرؤيتى هذا المنظر فى أراضى فرنسا الجميلة حيث الذوق والجمال ولم أكد أصدق عينى لفرط دهشتى ولكننى عرفت فيما بعد أن أغلب سكان هذا الحى من اليهود والارمن والطليان والهنود والمغاربة والسنغال والصينيين من المهاجرين أو الهاربين من وجه العدالة فى بلادهم . لذلك كان هذا الحى موبوءا يكثر فيه المجرمون الاشرار وبه كثير من الحانات ودور اللهو والرقص الخليع وبيوت الفسق والدعارة السرية . ويرتاد هذه الأحياء بحارة السفن التى ترسو فى الميناء

ولكن أجمل مافى مارسيليا شارع الكانبيير ويفخر به سكان مارسيليا على البلاد الاخرى حتى باريس نفسها . وأهلها مشهورون بميلهم الى الضحك والمزاح والمبالغه فى أحاديثهم . وشارع الكانبيير طويل ويبلغ اتساعه أكثر من عشرين مترا تكثر به الحركة فى النهار وشطرا من الليل . وتقع بورصة التجارة على هذا الشارع وقد قتل أمامها منذ عامين الملك اسكندر ملك يوغوسلافيا والمسيو بارتو وزير خارجية فرنسا السابق . وأكثر مايلفت نظر الزائر الغريب فى هـذا الشارع كثرة القهوات والمطاعم والمتنزهات والمخازن التجاريه الكبيرة على جانبيه . وفى المدينة أحياء جميلة تستحق الزيارة مثل شارع الكورنيش بمناظره الطبيعية الخلابة وأمامه جزيرة صغيرة خلد اسكندر دوماس اسمها فى قصة « الكونت دو مونت كريستو » وتدعى شـاتوديف (حصن أف) وقد بنى هذا الحصن على صخرة كبيره فى وسط البحر فى أواخر القرن الخامس عشر وجعلوا منه سجنا لقى فيه كثير من الملوك والامراء والاشراف حتفهم

وكان صديقى فى أثناء سيرنا ونزهاتنا يكشف لى عن الحياة فى هذه البلاد وعادات أهلها وأحوال

معيشتهم وأخلاقهم

اقتربت ساعة الرحيل فاشترينا مانحن فى حاجة اليه من طعام وودعت صديقى شاكرا له نصائحه الثمينة

كانت جل معلوماتى عن باريس فى أثناء سفرى بالقطار لا تزيد عن أسماء غابة بولونيا . السربون. الحى اللاتينى . ادارة البعثات .شارع المدارس. برج ايفل . مونمارتر والمولان دوج والفولى بيرجير

وكان الظلام حالكا فلم أتمكن من رؤية شىء من هذا الطريق الطويل وبقيت طول ليلى ساهرا أنتظر ساعة الوصول

وكانت باريس حين وصولنا اليها قد لبست رداءا قاتما من الغيوم الكثيفة التى تنذر بهطول الأمطار.وهذه حال أوربا فى هذا الفصل سمعت عنها كثيرا وشاهدتها للمرة الاولى فى جو لم نتعوده فى بلادنا

استأجرت سيارة (تاكسى) حتى ادارة البعثات وقد قام حضرة مديرها الفاضل باعطائى جميع الارشادات اللازمة للالتحاق بالجامعة ولم يبق على موعد افتتاح الدراسة سوى خمسة ايام .

يشعر المرء عند دخوله جامعة السربون بالرهبة والخشوع .لقد كانت منذ بضع مئات من السنين محط رحال طلاب العلم من جميع أقطار العالم فكانت لهم من علومها وآدابها منهلا عذباً يرتوون منه ونبراسا مضيئا يهتدون بنوره . أخرجت الى العالم عدداً كبيرا من قادته فى جميع فروع العلم والفن والسياسه والأدب والتاريخ والقانون . وتضم اليوم بين جدرانها اكثر من اربعين ألف طالب من جميع الأجناس والألوان يتخاطبون بلغات لاحصر لها فكأن السربون أصبحت برج بابل القرن العشرين . وللطالب الذى يحب العلم ويميل الى الاستزادة منه من برامج التعليم واساتذة الجامعه من فطاحل العلماء ودور الكتب والمتاحف والمعاهد والمستشفيات والمشاريع الهندسية الحديثة ومعارض الفن مالم يجتمع لغيرها من مدن العالم

ومستشفيات باريس على أعظم استعداد لمعالجة عشرات الألوف من المرضى يقصدها كثير من الأطباء الأجانب للاطلاع على احدث وسائل العلاج والتمريض ودراسه حالات مرضية جديدة فيعودون الى أوطانهم وقد عادت عليهم هذه الدراسات بأعظم الفوائد

حياة الطلبة فى باريس

مررت فى عصر اليوم التالى فى شارع الطلبة المعروف باسم بولفار سان ميشيل او بول ميش فعجبت لازدحامه بجموح الشباب يسيرون فى جماعات وهم يسرعون فى سيرهم . كنت انظر اليهم وأنا لا افهم شيئا ولا ادري سببا لهذه العجلة وهذا الازدحام الهائل

وسارت بي اقدامي الى نهر السين عند نهاية البولفار ، اخذت اسير بحذائه وأنا اشعر بسرور عظيم اذ اراني اليوم امتع انظارى برؤية مياهه الفضية الساكنة وقد انعكست عليها اضواء المصابيح القوية . لقد كانت الضوضاء على اشدها فى « بول بيش » وسيل السيارات وعربات الترام والاتوبيس لا ينقطع لحظة واحدة . اما هنا على ضفاف نهر السين فالهدوء شامل والهواء منعش ولا أشعر بالبرد مطلقا . طفقت اسبح فى بحار الخيال وعادت بى الذكريات الى بلادى وعشيرتى وقد تركتها بالامس فقط وأخذت اقارن بين الحالين . وتذكرت اننى هنا وحيدا لا أعرف مخلوقا ولا يعرفنى مخلوق . كنت اعزي نفسى قائلا . عليك بالصبر وستجد فى دراستك ما يقلل من وحشتك

عدت الى الفندق الذى نزلت به على مقربة من حديقة اللوكسمبرج وكانت غرفة نظيفة تجرى فيها انابيب المياه الساخنة للتدفئة وتوافرت فيها اسباب الراحة

والانسان حر فى دخوله وخروجه وفى جميع اعماله . يعود الى الفندق فى اى ساعة اراد فى النهار أو فى الليل . يدق جرسا فيفتح الباب الخارجي وضوء الممشى المؤدي الى الغرف بطريقه اوتوماتيكة وفى باريس عدة آلاف من الفنادق بعضها يبلغ من العظمة والفخامة مالا يوجد له مثيل فى البلاد الاخرى وهذه الفنادق تحيط بالشانزليزية والاتوال وبالقرب من الجراند بولفار والاوبرا وينزل بها كبار الاغنياء ورجال المال والملوك والساسة من جميع بلاد العالم وخاصة من الامريكين والانجليز . ثم هناك فنادق الدرجة الثانية ثم فنادق الدرجة الثالثة . وتختلف اثمان الغرف بها باختلاف اسباب الراحة ومن الميسور للطالب المتوسط ان يستأجر غرفة لا بأس بها بمبلغ بين ثلاثة جنيهات مصرية وثلاثة جنيهات ونصف ويتناول طعامه فى احدى المطاعم الرخيصة المنتشرة فى الحى اللاتينى او فى احدى البانسيونات

والمدينة الجامعية التى يسكنها سبعة الاف طالب تمتد امام حديقة « مونتسوري » من اجمل حدائق باريس كنت اتردد عليها كثيرا فى فصل الصيف وفى ايام العطلات مع جماعة من الاصدقاء نقضى

فيها ساعة او اكثر نمتع انظارنا ببحيرتها الهادئة يسبح فيها البط او نراقب الاطفال وهم يلعبون فوق رمالها الناعمة أو يتسابقون فى طرقاتها وقد جلست على مقربة منهم امهاتهم ومربياتهم يتبادلن اطراف الحديث او يقرأن فى احدي الصحف او الكتب

هنا تقوم المدينة الجامعية بمبانيها الفخمة وقصورها الشامخة وقد قامت ببنائها الدول المختلفة لأبناء أوطانهم من طلبة العلم فى مدينة النور وبلد العلم والجمال

وقد تبرع روكفلر بمبلغ كبير من المال لبناء مدينة الطلبة وشيد اميل دوتش دولا مودت القصر الخاص بالطلبة الفرنسيين الاغراب عن باريس على نفقته الخاصة وقد اتيح لى زيارته مع زميل لى كان يسكن فى احدى غرفاته : ويتكون هذا البناء من طابقين مستقلين عن بعضهما فلا يصل بينهما درج او مصعد او غيره . يقيم الطلبة فى الدور الاول منه والطالبات فى الدور الثانى وفى الجزء الاوسط من البناء قاعة كبيرة للمحاضرات وللتمثيل وقاعات اخرى احداها لاقامة معارض خاصة بالطلبة وأخرى للموسيقى وثالثة لعب البلياردو وغيرها لقراءة الصحف والمجلات . وغرفة واسعة يدخل اليها الشمس والهواء ونظيفة جدا . وأثاثها من طراز حديث بها صنابير الماء الساخن والبارد وتمتد فيها انابيب التدفئة

وبين الدول التى شيدت دوراً لابنائها فى المدينة الجامعية الولايات المتحدة وكندا والصين واليابان وبلجيكا وهولانده واليونان والهند الصينية وتركيا . ومطعم المدينة الجامعية يتسع لاكثر من خمسة الاف طالب واثمان الطعام به زهيدة ولكنها فى الغالب رديئة وكثيرا ما تعالت اصوات الطلبة بالشكوى من ذلك

كنت أتناول طعام الغداء فى هذا المطعم أوفى مطعم آخر هو البروكوب با لقرب من بولفارسان جرمان وكلية الطب. أما طعام العشاء فكنت أفضل البقاء فى الفندق بعد انتهاء اليوم المدرسى وكانت تقدم لى صاحبة الفندق وجبة العشاء مع جماعة لايقل عددهم عن عشرة أشخاص فيشعر المرء فى هذا الوسط بحياة الاسرة. وكانت اجتماعات المائدة من أهم الاسباب التى ساعدتنى على معرفة اللغة الفرنسية واجادة التحدث بها . كنت أشعر بسرور عظيم اذ أصغى الى أحاديثهم الممتعة وقصصهم اللذيذة واذا جاء دوري ذكرت لهم طرفا من الحياة فى بلادنا أو حدثتهم عن النيل أو الاهرام أو اثار الملك توت عنخ امون وغيره من الفراعنة وهم يستمعون الى فى شغف وشوق بعد أن قرأوا الكثير عن مصر وكثيرا ما سمعتهم يتمنون لو أتيحت لهم الفرصة بزيارة مصر ورؤية اثارها ونيلها وصحرائها ومدنها

كانت تلك الجماعة مكونة من ضابط فرنسى متقاعد وزوجته ومدرس باحدى المدارس الابتدائية وصديقته الامريكية الحسناء وطالبان رومانيان واخران من سوريا وطالب فرنسى ثم آنستين روسيتين تشتغلان فى معهد من معاهد التجميل

تسكن بعض العائلات فى الفنادق وتتناول طعامها فى المطاعم وهؤلاء ممن تضطرهم أعمالهم الى هذه الحياة . يخرج الرجل الى محل عمله وتخرج زوجته مع أطفالها الصغار الى احدى رياض الاطفال وهناك تتركهم حتى المساء فتعود لاخذهم الى المنزل بعد خروجها ويقدمون فى رياض الاطفال غذاءا نظيفا مغذيا ويشرفون على تربية الصغار وتعليمهم مبادىء العلوم

وليس هذا دليلا على تفكك الحياة العائلية فى باريس وعدم استقرارها على حال بل ترى كثيرا من الاسر العريقة فى القدم قد احتفظت جميعها بقوتها وكيانها لاسبيل الى الغريب من الوصول اليها بمثل السهولة التى يتعرف بها على احدي العائلات الانجليزية أو الالمانية

تراهم محافظين على القديم من عاداتهم وتقاليدهم . ومن العائلات الباريسية ما يمكنك التعرف اليها والسكنى معها . وأنت تشعر فى الشهور الاولى من اقامتك بينهم بانك غريب عنهم ولكن لا تلبث ان تتوثق عرى الصداقة اذا طال عهد اقامتك فيدعونك الى مجالسهم وسهراتهم ويتاح لك ان تقف على حياتهم الخاصة وعاداتهم وأخلاقهم وتذهب عنك وحشتك وشعورك بالغربة . وتقيم الاسر المتوسطه الحال فى شقق صغيرة تؤجرها فى احدى العمارات الشاهقه على جانبي البولفار بنى اكثرها وفق نظم هندسية بديعة . نعم لا يزال فى بعض الاحياء القديمة كثير من المنازل العتيقة البناء ولكنها فى سبيل الزوال لتحل مكانها هذه العمارات ناطحات السماء ذات العشرة الادوار أو اكثر بنيت لها جراجات تحت الارض واحيطت ببساتين وحدائق غناء وانشئت بها نافورات جميلة للمياه

وقد اشتهرت حارسات العمارات فى باريس بثرثرتهن وقد القيت على عواتقهن اعمال جسيمة ومسؤوليات شاقة : فالحارسة تستلم الخطابات من ساعى البريد وتقوم بدورها . بتوزيع تلك الخطابات على اربابها . ويضايقها كثيرا من الفقراء ورجال الجمعيات الخيرية والبائعين وموزعى الاعلانات بالحاحهم عليها كى تسمح لهم بالصعود الي طبقات المنزل ولكنها ترفضهم بتاتا

وعلى البوابة ان تقوم بحراسة المنزل فى الليل والنهار فهى لا تتركه دقيقة واحدة وعليها كذلك ان تعنى بنظافته

اعود هنا الى الحديث عن طريقة معيشتى فى الاشهر الاولى من حياتى فى باريس

كنت اذهب فى الصباح الى شارع كيفيه امام حديقة النبات حيث البناء الخاص بطلبة السنة

التحضيرية للطب وبها نحوا من الف طالب موزعيه على ثلاثة اقسام . وكنا نخرج عند الظهر جماعات فيذهب البعض الى مطاعم شارع المدارس او سان ميشيل مثل الكابولاد أو بيرو فى بولفار سان جيرمان او الى مطعم المدينة الجامعيه ويقصد البعض الاخر جمعية الطلبه العامة فى شارع البيشرني بالقرب من نهر السين حيث كنت اذهب احيانا لتناول غدائي فى مطعمها

وكثيرا ماكنا نختلف بعد انتهاء الطعام الى قاعات المطالعه . اعدت فى الطابق الاول من دار جمعية الطلبة وبها مئات الصحف والمجلات الفرنسية والأجنبية فنقضى اوقات فراغنا في الاطلاع والتثقف وبها مكتبة حافلة بالكتب العلمية والادبيه وغرف خاصة بالاستذكار وأخرى للالعاب الرياضية . وتقام فى القاعة الكبرى حفلات راقصة فى ايام الاحد والاربعاء خاصة بالطلبة والطالبات وهذه اجمل الحفلات وابهجها كما انها ابسطها وأقلها نفقة

ومن المطاعم التى كنت اتردد عليها احيانا مطعم «البروكوب» فى شارع «الانسيين كوميدى» وهو مطعم قديم جدا كان يأكل فيه فولتير وروسو وجامبتا ودانتون وروبسبير وترى رسومهم تحلى جدران المطعم حتى اليوم . واذكر من المطاعم الشرقيه مطعم «استانبول» فى شارع «موسيو لوبرانس» لمديريه الاستاذين حسنى وكاظم الالبانيين وهما يقدمان فى مطعمهما الفاخر أحسن ألوان الطعام الشرقى وعرفت كثيرا من المصريين من الطلبه ومن موظفى المفوضية ممن كانوا يترددون على ذلك المطعم

وفى شارع كلية الطب الصغير مطعم يونانى يأتى اليه كثير من الطلبه اليونانيين والمصريين والشرقيين عموما وهو مطعم متواضع يقبل عليه الطلبه إقبالا شديدا لرخص أثمان الطعام به

وفى الحي اللاتينى مطاعم صينيه ويابانية وأمريكية وألمانية واسبانية وتشيكوسلوفاكية ومطاعم لليهود والروس والأرمن لكل منها جوه ومزاجه الخاص بألوان طعامه الوطنية ونقوشه وترتيب موائده وجرسوناته

لاأشعر اليوم بأننى غريب فى هذا الحى اذ يداخلنى إحساس غريب ذلك أن الحي اللاتيني أصبح وطنا ثانيا لى وبه من الأصدقاء الشرقيين والغربيين من أعتز بهم وأجد سرورا لايعادله سرور فى التحدث اليهم والخروج معهم للنزهة

هذه القهوات الصغيرة تعج بمن فيها من الفتيات والشبان يرقصون ويلهون وقد طفحت وجوههم بالبشر والسرور فهم فى مقتبل العمر والحياة تبتسم لهم فكيف لايكونون سعداء ؟ وتختلط غوانى باريس وبنات الهوي فيها بهؤلاء الشبان ويترددن كثيرا على قهوات الطلبة وترى بعض هؤلاء الفتيات وقد

جلسن ساعات بأ كملها أمام فنجان قهوة باللبن فى انتظار الفريسة . ويحدث أن تشاهد مئات من الطلبة يسيرون فى مظاهرة (مونوم) كما يسمونها . ينشدون أناشيدهم وتراهم أحيانا يهتفون بسقوط استاذ من الاساتذة كما حدث أيام احتجاجهم على الاستاذ جيز بكلية الحقوق لتمثيله الحبشة فى عصبة الامم ودفاعه المشهور عنها. أو ذلك « المونوم» الذى مشى فيه المئات من طلبة كليات الطب والعلوم احتجاجا على مدير حدائق النبات والحيوان ومتاحف التاريخ الطبيعي عند ماأراد حرمانهم مما لهم من الامتيازات فى دخول هذه الحدائق والمتاحف مجانا . أو يهتفون بسقوط غير هؤلاء ويحملون معهم تمثالا من الورق المقوى للاستاذ المغضوب عليه يسيرون به فى طرقات الحى الى أن ينتهى بهم المطاف فى ساحة السربون أو أمام البانثيون فيحرقون تمثاله بين تهليلهم وتصفيقهم يعلنون بذلك سخطهم واحتجاجهم

وتقع كلية الطب فى بناءين متقابلين على جانبي شارع كلية الطب الضيق الذى يصل بين ميدان دانتون و بولفارسان ميشيل . وقد جعلوا البناء الأيمن للمحاضرات والدروس النظرية والذى الى اليسار للقسم العملى من الدراسة ويقضى طالب الطب حياته المدرسية بين هذين البناءين. ومستشفيات باريس يقضى فى كل منها زمنا معلوما يشاهد فيه أقسامه المختلفة والامراض على أشكالها التى تعالج فيه . وجميع هذه المستشفيات تابعة لجمعية الاسعاف العامة (لاسيستانس بوبليك) ويظن المرء لأول وهلة أن كلا من الكلية وجمعية الاسعاف منفصلة فى شؤونها وأعمالها عن الأخرى تمام الانفصال . ولكن الحقيقة خلاف ذلك . فالاطباء والجراحين فى هذه المستشفيات ينتخب منهم اساتذة كلية الطب فى مسابقات عامة تعقد لهذا الغرض . وتعقد مسابقات أخري بين طلبة الكلية لانتخاب عدد منهم للعمل فى المستشفيات ومعاونة أطبائها وممرضيها وهناك نوعان من المسابقات احداها لطلبة السنة الاولى والثانية (ليكسترناه) ويتناول الطالب الذى يفوز فى هذه المسابقة مكافأة شهرية قدرها جنيهان ونصف . ثم امتحان (الانترنا) لطلب السنين النهائية وللطلبة الفائزين فى هذه المسابقة أن يقيموا فى المستشفى باستمرار

وتعمل جمعية الأسعاف العامة على ادارة المستشفيات ومعالجة الفقراء مجانا فى عياداتها الخارجية وفى صالاتها الكبيرة فلا تتقاضى منهم شيئا عن مدة إقامتهم بالمستشفى بل تقدم اليهم عند خروجهم بعضا من المال يعاونهم فى امور معاشهم اذا ماثبت لها احتياجهم أما القادرين منهم فهى تتناول عن المريض نحو خمسة وثلاثين قرشا فى اليوم

وأنشأت ملاجىء للعجزة يقضون فيها أيامهم الباقية على الارض فى طمأنينة وهدوء

وهى تجمع اليتامى واللقطاء وتقوم بتربيتهم والاشراف على تعليمهم الحرف والصنائع كل بما تراه

أهل له . فاذا مابلغ اللقيط سن الرشد أصبح حراله أن يفعل مايشاء فتعطيه قبل خروجه رأس مال صغير يبدأ به حياته العملية

وفى باريس مئات من المستشفيات الكبيرة والصغيرة أخص منها بالذكر السالبتريير والشاديتيه وسان لويس وبوجون والاوتيل ديو وكوشان . ومستشفى سان لويس هو أقدم مستشفيات باريس بعد مستشفى الاوتيل ديو القائم فى ميدان كنيسة (نوتر دام دوباري) بنى الملك هنري الرابع ملك فرنسا مستشفى سان لويس فى عام ١٦٠٧ لانتشار الوباء حينذاك . أقيم هذا المستشفى فى بقعة من الارض كانت من ضواحي باريس فى ذلك العهد . أما اليوم فهو فى قلب باريس فى حي سانت أنطوان من أكثر احيائها حركة والمزدحمة بسكانها وشوارعها وأشواقها ومتاجرها إذ كانت باريس فى سنة ١٦٠٧ لاتتعدي السيتية وهى جزيرة صغيرة فى نهر السين كانت تحيط بها تلال مونمارتر وشومونت وبيلفيل ومنيلموتنان وكنت ترى فوقها طواحين الهواء وبعض المنازل الصغيرة هنا وهناك على مسافات متباعدة . اختفت اليوم تلك التلال واقيمت مكان طواحين الهواء عمارات شاهقة وميادين متسعة وحدائق غناء

وبناء المستشفى قديم وصالات المرضى لاتزال محتفظة برونقها ونظامها التى بنيت عليه منذ أكثر من ثلاثة قرون بعضها صغير لايسع أكثر من سريرين متقابلين والبعض الاخر يسع نحو خمسين سررا للمرضى وخلف المستشفى بناء لسكنى الاطباء وجناح خاص بالممرضات . ثم كنيسة ومقبرة

ويعد مستشفى «بوجون» من ناطحات السحاب وهو أحدث مستشفيات باريس بل فرنسا أجمع ، فتحت أبوابه للمرضى منذ ثلاثة أعوام وبه عشر عيادات خارجية يقوم فيها أمهر الاطباء وكبار الجراحين من الاساتذة فى كلية الطب بفحصهم . ترى الاختصاصيين فى جميع الامراض واذا آردنا زيارة احدى هذه العيادات نبدأ بوصف غرفة الانتظار وهى صالة متسعة مربعة الشكل صفت بها المقاعد لجلوس المرضى وتقوم احدي الممرضات بتقييد أسمائهم وتحيط بهذه الصالة نحو ثلاثين مقصورة صغيرة يدخل الى كل منها مريض ينتظر دوره. وتفتح هذه المقصورات فى صالات الفحص المختلفة تجد بها الطبيب المشرف على هذا القسم يحيط به فريق من طلبة الطب والممرضات وفى أعلى بناء المستشفى « سولاريوم» يعالج فيه المرضى والناقهين بحمامات الشمس والهواء وهو آخر ماوصل اليه الطب فى أبحاثه ... كل شيء فى هذا المستشفى قد رتب فى نظام دقيق يأخذ عليك مشاعرك

ثم كلية الحقوق وكلية الاداب وتدرس فيها العلوم فى محاضرات تلقى على الطلبة يحضرها من

أراد منهم اذ يتركون للطالب الحرية المطلقة فى اختيار الاساتذة الذين يتلقى عليهم دروسه وترى نفرا من طلبة كلية الحقوق يستمعون الى محاضرات الاساتذة فى كلية الاداب وطلبة من كلية الاداب فى مدرجات كلية الحقوق ...

وكذلك يجد الطالب نفسه غير مضطر الى الحضور الى الجامعه كل يوم فهو يذهب اذا شاء ومتى اراد حتى اذا ما اقبلت نهاية العام الفي نفسه امام منهج طويل عليه بدراسته وهو تلك الدروس التى ربما اهمل الحضور اليها وتقييد مذكراتها . يحدث ذلك لبعض الطلبة فى العام الاول من دراستهم فتضطرب احوالهم وربما تعسر عليهم اجتياز امتحان آخر السنة بل هذا هو المرجح لانهم لم يعتادوا من قبل هذه الحرية المطلقة فى تنظيم اوقاتهم ويكون لهم من ذلك خير الدروس فى تعويدهم تنظيم شؤونهم بانفسهم على احسن الوجوه

وكلية العلوم وقسم منها فى السربون وقسم آخر ملحق بالقسم الاعدادى لكلية الطب وتلقى به محاضرات فى العلوم البحتة ويقوم الطلبة فى معامل الكلية بتجارب عمليه

والكوليج دو فرانس انشأها الملك فرانسو الاول للدراسات والابحاث الحرة وقد قام هذا المعهد باجل الخدمات لبلاده

ويقع فى شارع المدارس مدرستا السنترال والهندسة الحربية وهذه أول مدارس الهندسة فى العالم والدخول اليها بمسابقات عسيره لا يفوز فيها الا من جاهد جهازا عنيفا فى سبيل التبريز فى علوم الهندسة والرياضيات . عرفت بعض الطلبة ممن حازوا دبلومات عليا فى الهندسه من جامعات كبيرة يتقدمون مرات عديدة الى مسابقات هاتين المدستين قبل أن يظفروا بالقبول فى احداها. واول مصري نابغة تخرج من مدرسة السنترال هو المرحوم اسماعيل سرى باشا وأظن أن المتخرجين فيها بعده من المصريين لا يزيد عددهم عن العشرة

ثم مدرسة الصيدلة فى « بول ميش » ومدرسة هندسة المناجم الى جانبها ، تحدها من الخلف حديقة اللوكسمبورج حديقة الطلبة . كانت احب الحدائق الى نفسى ...... كنت احب الجلوس مع جماعة من الزملاء والاحباب فى أيام الصيف ولا زلت اذكر تلك البقعة الجميلة التى لم نتركها يوما الى غيرها بل كان ذلك هو "رنديفو" اجتماعاتنا ايام السبت والاحد نستمع الى جوقات موسيقية صغيرة التى تصدح فى كشك الحديقة كثير من ايام الصيف القائظة . ويأتى لسماعها جمهور كبير من سكان الحى اللاتينى وتعزف هذه الجوقات الموسيقية قطع الاوبرا والاوبريت وغيرها من موسيقى شوبان وليزت وبيتهوفن وموزار وتوسكانينى وديبوسى

وفرانزلهار . وترى فى هذه الحديقة كثيرا من الاطفال الصغار تصحبهم امهاتهم ومربياتهم يتقاذفون الكرة أو يركبون الحمير تسير بهم فى طرقات الحديقة وهم مسرورون جد السرور بتلك النزهات اللطيفة على ظهور الحمير أو يدفعون بقواربهم فى مياه البحيرة الصغيرة

وجلس رهط من النساء على مقاعد خشبية يراقبن أولادهن ويطرقن شتى الاحاديث . أحاديث البيت والطعام واللباس والأزياء الحديثة وموديلات القبعات والاحذية الجديدة . أو أحاديث العلوم والفنون أو السياسة والآداب

فالمرأة الباريسية متعلمة مثقفة . تخصص شطرا من وقتها للقراءة والاطلاع . فى استطاعاتها ان تحدثك عن تاريخ مصر واحوالها وسياستها أو عن الهند أو استراليا أو اليابان

وتحدثك عن كل جديد فى العلوم والفنون والرياضة وتدرك الفرق الشاسع بين المرأة الفرنسية وأختها الشرقية التى قلما تهتم بتثقيف عقلها وتهذيب نفسها بل تهتم بتقليد الازياء الباريسية . نعم . لا أنكر ان المرأة الباريسية تهتم اعظم الاهتمام بثيابها وتأنقها وتنفق كثيرا فى سبيل احتفاظها بسحرها ورشاقتها ولكن ذلك لا يمنعها قط من الالتفات الى شؤون بيتها وتربية اطفالها وتثقيف عقلها

حدائق التويلري ومتحف اللوفر

الربيع فى باريس هو فصل الحياة والنشاط وهو أجمل فصول السنة على الاطلاق . نحن فى شهر مارس وقد بدأت الشمس فى الظهور بعد أن كادت تحتجب عنا طول أيام الشتاء . مضت أيام المطر الغزير والثلوج المتساقطة والسماء المعتمة الملبدة بالغيوم أو البرد الشديد الذى يصل أحيانا الى أكثر من عشر درجات تحت الصفر . ولكن هذا الجو المطير لايعيق الناس عن أعمالهم فقد تعودوه ولا يشكو منه سوى الطلبة الشرقيين من المصريين والسوريين والعراقيين اذ لم يعرفوا هذه السماء المظلمة فى وسط النهار فى بلادهم. وتظل باريس على هذه الحال أياما متواليه لاتطلع الشمس فى خلالها ولا تنقطع الامطار عن السقوط أياما كاملة الا لتعود أشد منها

أخذت الشمس ترسل رويدا رويدا أشعتها الدافئة فتبعث البهجة والسرور والنشاط الى قلوبنا فنعدو الى النوافذ والى الحدائق العامة نستدفىء بحرارتها ونحن فرحين برؤيتها من جديد إذ تذكرنا بشمس بلادنا وسمائها الصافية وهوائها العليل

كنت أخرج الى النزهة على ضفاف نهر السين فتسير بى أقدامى الى باعة الكتب الذين عرضوا بضاعتهم فى صناديق حديدية مثبتة الى جانب أسوار نهر السين وقد وقف المارة يقلبون فى صفحات هذه الكتب وكثيرا ماتجد بينها ماهو نفيس نادر عرض للبيع بأثمان بخسة . تعثر بها على كتب عربية وصينية وفارسية ويونانية وفى غيرها من اللغات فى مختلف العلوم والفنون

كنت أسير على ضفاف نهر السين ماراً بمحطة أورليان احدى محطات باريس الكبرى وتقوم منها القطارات المسافرة الى تور وبورد وتولوز وعلى مقربة من محطة أورليان بناء مجلس النواب مشيد على طراز أغريقى أقيمت فى ساحته الامامية بضعة تماثيل لعظماء الفرنسيين ممن ضحوا فى سبيل إعلاء الوطن ورفع كلمته وا دبارشأنه . وأمام هذا البناء قنطرة فوق نهر السين تصله بميدان الكونكورد الذي ذاعت شهرته فى أيام الثوره الفرنسية بما شهده من الأهوال وفظائع التعذيب والقتل وأقاموا فيه المقصلة (الجيلوتين) التى أطاحت برؤوس لويس السادس عشر وزوجته الملكة مارى انطوانيت ودانتون وروبسبيير ومئات بل ألوف من عظماء الفرنسيين ومفكريهم ونبلائهم وملوكهم . وقد صار ذكره عند الفرنسيين ترتجف منه الابدان فهو مقرون بذكرى الثورة الفرنسية التى لم يشهد التاريخ مثلها من قبل

وقد أقيم فى وسط هذه الساحة مسلة مصرية على قاعدة من حجر الجرانيت وبنيت حولها نافورات المياه البديعة وأحيط الميدان بتماثيل كبيرة لفتيات تمثل كل واحدة منهن احدى مدن فرنسا الكبرى مثل ليون وستراسبورج ونانسى ومارسيليا ومونبلييه وليل وغيرها .

وتبدأ حدائق التويلرى المشهورة في الطرف الجنوبى من ميدان الكونكورد وتمتد بين شاطىء السين رشارع ريفولى ومخازن اللوفر وشارع سانت أنودية حتى متحف اللوفر وقد نظمت نباتاتها وزهورها وثرياتها ونافوراتها بأشكال هندسية بديعة تدل على مهارة فائقة وذوق سليم يهرع اليها الأطفال والرجال والنساء للتروض والنزهة. وقد فرشوا جزءا من الحديقة بالرمال الصفراء يلعب فيها الاطفال ويمرحون وأقيم على أرضها ملهى صغير للاطفال (الجراند جينيول) تمثل فيه روايات صغيرة مضحكة للاطفال وتراهم أحيانا يدفعون قواربهم الصغيرة فى مياه البحيرة ويقيمون مسابقات السرعة بين هذه القوارب ويقع متحف ومعرض الأورانجيرى الى يمين الداخل الى حديقة التويلرى عرضت به صور ورسوم لكبار رجال الفن الأجانب

أما اللوفر وهو أعظم متاحف العالم واغناها فيقع فى نهاية هذه الحديقة ويحتوى على قاعات فسيحة وحجرات واسعة ممتلئة بكنوز من الفن لاتقدر بثمن ولايستطيع الزائر رؤيتها فى يوم واحد بل يحتاج الى أسابيع كاملة حتى يقف على مافى هذا المتحف من آثار وفنون . ورسم الدخول اليه فى أيام الأسبوع فرشان أما فى يوم الأحد وفى أيام الأعياد فهو مفتوح للجمهور به أقسام خاصة بالاثار المصرية والرومانية والاغريقية والاشورية وأخرى خاصة بمعارض الصور لأشهر رجال الفن الايطاليين والفرنسيين والاسبانيين ومجاميع ثمينة من الجواهر من مخلفات العصور القديمة والوسطى

والمتحف مكون من طابقين فى الطابق الاول منه اذا دخلنا الى المتحف من الباب الشرقى نرى القسم المصري وقد شاهدت به آثارا مصرية نادرة المثال كتمثال الكاتب وأمينو فيس وتماثيل صغيرة لأبى الهول وأخري هائلة الحجم تبدو عليها العظمة ودقه الفن وروعته تمثل فراعنة مصر الأولين

وهناك أيضا كثير من جثث الملوك المحنطة وصناديق للموتى

ويلى هذا القسم صالات كبيرة بها آثار الاشوريين والاغريق والرومان وكلها أقسام جديرة بالزيارة والدرس .

يصعد المرء الى الطابق الثانى فيجد امامه قاعة أبولون وقد غطيت جدرانها وسقوفها بالصور الجميلة وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى الصورة المرسومة على سقف القاعة التى تمثل الاله أبولون وهو يقتل

الثعبان بسيفه وعلى الجدران صور ملوك فرنسا ووزرائها ممن عملوا على تشييد هذا المتحف أو توسيعه أو ادخال التحسينات عليه . وفى الجزء الأوسط من قاعة أبولون صناديق من الزجاج تحتوى على تحف صغيرة ثمينة من الذهب والفضة والجواهر النفيسة التى كانت تتحلى بها ملكات فرنسا فى العهود السابقة وقد وقف الى جانب هذه الصناديق بعض الحراس خشية أن تمتد اليها يد اللصوص ويتصل بهذه القاعة قسم الصور لكبار الرسامين من مدارس فرنسا وايطاليا وهولندا والمانيا وانجلترا ازدانت بها عشرات الصالات وجميعها تحف فنية رائعة يقف أمامها الزائر معجباً بجمال التصوير وبراعة الفن ودقة التعبير وينتهى منها الى القاعة المربعة التى اختصت برسوم نوابغ الفنانين وفطاحل الرسامين

أذكر من هذه الصور واحدة تمثل (تتويج العذراء) لفرا أنجيليكو . و (الموناليزا) ذات النظرات الساحرة التى رسمها ليوناردو فنشى . ثم صورة لروفائيل اسمها (بلتازار كاستليون) . و (الغبطة) لتيسيان

ولكثير غيرهم من حاملى لواء الفن فى العالم أمثال روبنز وفانديك ورمبراندت

ومن متاحف باريس متحف النسيج والسجاد فى جوبلان ومتحف كلونى بالقرب من السربون ويحتوى على تماثيل ونقوش وأبواب ونوافذ وأوانى فخارية وبعض الطنافس العتيقة من اثار العصر القوطى والعصور التى تليه . ومما نشاهده فى هذا المتحف حذاء لنابليون وآخر لزوجته جوزفين وضعا فى صندوق من الزجاج والى جانبه أشياء كثيرة غيره لملوك فرنسا

ومتحف جريفان فى الشانزلزية الى جانب مفوضية الولايات المتحدة وفندق كاريون الذي نزل به صاحب الجلالة الملك فاروق الاول فى اثناء إقامته فى باريس . وفى هذا المتحف تماثيل من الشمع تمثل حوادث فرنسا التاريخية الكبرى والحوادث الدينية البارزة وتماثيل لكبار رجال العالم وملوكه وعظمائه

الجراند بولفار

شارع يمتد من ساحة الجمهورية حتى كنيسة المادلين ويبلغ طوله اذا ضم الى بعضه اكثر من خمسة كيلو مترات يقطعها السائر على قدمية فى اكثر من ساعة وهو عبارة عن اربعة شوارع واسعة متصلة بعضها ببعض يبلغ عرضها فى بعض اجزائها نحو ثمانين مترا وقد وضعت البلدية مقاعد على مسافات غير متباعدة فوق الارصفة لجلوس من اراد من المتنزهين كما اوجدت فى اماكن حديثة البناء ملاصقة لمحطات المترو مباول وصالونات للحلاقة واماكن لمسح الاحذية ولاصلاحها وبيع ادوات الزينة أو الصحف والقصص والمجلات

يبدأ هذا البولفار فى ميدان الجمهورية وبين هذا الميدان وغابة فانسين ومقابر بير لاشيز توجد احياء العمال وهى اكثر أحياء باريس ازدحاما بالسكان وطرقها ضيقة ومنازلها معتمة محرومة من الشمس والهواء لذلك بدأوا فى انشاء مدن صغيرة للعمال عند ابواب المدينة وفى اطرافها لا يؤجرونها الا للعمال فقط . وقد احاطوا هذه المنازل الجديدة بالحدائق وغرسوا فيها الاشجار العالية والزهور فى نظم هندسية جميلة ترتاح الى رؤيتها العين . وجميع منازلها تدخلها الشمس والهواء وبها انابيب التدفئة والمصاعد والمياه الجارية الساخنة والباردة .وجعلوها بعيدة ما أمكن عن الاحياء المزدحمة وأحياء المصانع

والعامل الفرنسى رجل مثقف فى الادب والتاريخ والعلوم ذلك لانه يتعلم من اجل تثقيف نفسه ويستطيع بكثرة اطلاعه أن يقف على السياسة العامة تراه ينهض فى الصباح الباكر الى عمله ولكنه لا ينسى ان يشترى صحيفة من صحف الصباح يقرؤها فى اثناء الطريق أو فى المترو . وقد عرفت العمال فى تور كانوا يقضون يوم الاحد وهو عطلتهم الاسبوعية فى المكتبة العامة يطالعون الكتب الادبية والتهذيبية

الى جانب هؤلاء العمال توجد فئة كبيرة من العمال العاطلين . تراهم كل صباح وقد وقفوا امام مكاتب العمل المنتشرة فى باريس يبحثون عن عمل وربما انقضت الشهور الطوال دون جدوي ويقول هؤلاء العاطلون ان السبب فى هذه الحال هو كثرة العمال الاجانب فى بلادهم وربما كانوا على حق فيما يدعون لان فى فرنسا اكثر من مليون ونصف من العمال الاجانب من الطليان والرومانيين والبولونيين واليهود والارمن يهاجرون الى فرنسا وهم فى اشد احوال الفقر والضنك

ويقبلون العمل باقل الاجور . فبينما لا يقبل العامل الفرنسى اجرا يقل عن ثلاثة جنيهات فى الاسبوع ترى العامل الاجنبى يقبل مسرورا بمبلغ جنيه أو جنيه ونصف فى الاسبوع ذلك لان هذا الاجر التافه خير له من ان يتضور جوعا فى بلاده فهو يأتى الى هنا ويكتفى بالشىء الزهيد من الطعام بينما العامل الفرنسى قد تعود حياه البسطة والرخاء . يشرب النبيذ ويتناول الحلوى فى جميع وجبات طعامه . وتدفع الحكومة للعامل العاطل جنيها فى الاسبوع وتدفع له فوق ذلك اجرة مسكنه . وقد وضعت شروطا لذلك اهمها ان يكون العامل الذي يحق له تناول هذه الاعانة قد قضى فى آخر مصنع كان به ستة اشهر على الاقل وان يكون قد قضى فى باريس خمسة أعوام كان يعمل فى خلالها فى مصانعها أو متاجرها

رأيت هناك بعض العاطلين ممن تعودوا الكسل والخمول يكتفون بهذه الاعانة التى تدفعها لهم الحكومة ولا يرتضون عن هذه الحياة بديلا حتى ولو عثروا على مكان خال فى مصنع او متجر

هناك العاطلون الذين لا حق لهم فى تناول اعانة الحكومة ممن لا تتوافر فيهم الشروط الآنفة الذكر : وهؤلاء فى حالة من الفقر والبؤس تدعو الى الحسرة والاشفاق . وا كثر ما تراهم فى الطرق المحيطة بميدان موبير وشارع موفتار بين الجوبلان والحى اللاتينى وأحياء الباستيل ومنيلمونتان أو فى سوق باريس العامة يحملون على ظهورهم الاحمال الثقيلة طول الليل مقابل بضعة فرنكات يشترون بها رغيفا من الخبز وقطعة من الجبن وزجاجة من النبيذ الاحمر يبتاعونها من احدى قهوات بلاس موبير أو موفتار الحقيرة المظلمه ويقضون فى الدفء بضع ساعات . اذا نظرت داخل احدي هذه القهوات بعد الساعة الثامنة وجدتهم يفترشون مقاعدها وموائدها ويبقون كذلك حتى الساعة الثانية صباحا وهنا يبدأ يومهم فتراهم يعودون الى الاسواق العموميه يبحثون عن تجار الخضراوات واللحوم والبيض والفواكه عن عمل يقتاتون منه وفى باريس جمعيات خيرية كثيره انشأت لهم الملاجىء والمطاعم المجانية ولكنها لا تكفى هذا الجيش الجرار من الفقراء والعاطلين . وتقوم الجمعية الخيرية المعروفه بجيش الخلاص بالطواف فى هذه الاحياء الفقيرة تحمل فى سيارات كبيرة أوان مملوءة بالاطعمة الساخنة وسلات الخبز وتبقى طول الليل وسط السوق فيهرعون اليها من كل فج وقد اضناهم البرد والجوع فيعودون وقد امتلأت بطونهم وانفرجت اساريرهم . وقد انشأ جيش الخلاص فى باريس عدة ملاجىء للفقراء تسع أكثر من ألف نفس فى الليلة الواحدة ولكنها تضطر الى رفض ألف أخرى هم مثل اخوانهم فى حاجة شديدة الى الطعام والدفء هذه هى قصة عمال باريس والعاطلين بها .. فلنعد الآن الى

حديثنا عن البولفار .ويسمى فى القسم الأول منه المجاور لميدان الجمهورية بشارع سان مارتان وبه بوابتا سان مارتان وسان دينس أقيمتا تذكارا لانتصارات لويس الرابع عشر فى حروبه مع الالمانيين والهولانديين ثم شارع مونمارتر ويليه بولفار (ديزيتاليان) وبولفار (دي كابوسين) وعلى جانبي هذه الشوارع المحلات التجارية الكبيرة أضاءت واجهاتها الأنوار الساطعة المتلألئة ووضعت بها نماذج من بضائعها بأشكال جذابة فتانة .ومقاهى هذا الشارع كثيرة تصدح بها أجواق الموسيقى حتى منتصف الليل وأفخرها مقاهى (لابيه) و (مدريد) و (البرنس) يغشاها كبار الأغنياء . وفى البولفار دور للسينما الاخبارية انشأتها جرائد باريس الكبرى، كالجورنال والماتان وهى مفتوحة باستمرار تعرض افلامها الاخبارية والموسيقية منذ الساعة العاشرة صباحا الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل فيمكنك الدخول اليها فى أى وقت اردت ويستغرق عرض الفيلم نحو ساعة من الزمن لايلبث أن ينتهى حتى يعاد عرضه مرة ثانية وثالثة ورابعة وهكذا . وسينما « ديكس » فى بولفار سان مارتان هى أكبر دور السينما ى باريس وفى فرنسا كلها . تسع نحو ستة الاف متفرج فى وقت واحد وبرنامجها الاستعراضى وأفلامها وموسيقاها وكذلك مقاعدها وصالات التدخين والجلوس بها مما يجعلها فى صف أكبر وأفخم دور السينما فى العالم

ومن دور التمثيل بودت سان مارتان والجيتيه والجيمناز والاتينية والأمبيجو ومن مراقصه الكوكو والـ a.b.c

وتقع دار الاوبرا عند ملتقى بولفارى ديزيتاليان وكابوسين وهى، من أكبر وأفخم دور التمثيل فى العالم . فبناؤها ونقوشها وزخرفتها وتماثيلها وصالاتها ورواياتها الغنائية لامثيل لها فى سائر بلاد العالم الاخرى.وفى الجناح الايسر من دار الاوبرا متحف ومكتبة حوت جميع القطع الموسيقية التى عزفت فى الاوبرا والروايات الغنائية التى مثلت على مسرحها والكتب والصحف التى تبحث فى تاريخ التمثيل والموسيقى والرقص وبعض الملابس والاثاث الذي كان يستعمل لتزيين مناظر تلك الروايات منذ انشاء الدار حتى يومنا هذا وتماثيل كبار المغنين والموسيقيين والملحنين والممثلين وصورهم ونماذج من توقيعاتهم وملابسهم التى كانوا يرتدونها فى حياتهم العادية . وفى ميدان الاوبرا وأمام قهوة لابيه كشك صغير أنيق تجد فيه الجرائد المصرية والانجليزية والفرنسية والامريكية وغيرها ذلك لان اكثر المترددين على هذه القهوة من السائحين وتجد مثل هذه الاكشاك على جانبى البولفار وترى اليهم كثيرا من باعة الجرائد وضعوا فوق رؤوسهم قبعات كتب عليها اسم الجريدة التى يبيعونها ولا يحق لاحدهم ان يحمل غير تلك الصحيفة . وتصدر أكثر الجرائد اليومية عدة طبعات فى اليوم الواحد فمثلا « بارى سوار » يقدم الطبعة الاولى من

جريدتة للتوزيع عند الساعة الثالثة بعد الظهر تليها الطبعة الثانية والثالثة وهكذا حتى السادسة وهي الاخيرة تظهر نحو الساعة السابعة مساء وبها آخر اخبار السياسة والرياضة والمحاكم وترسل هذه الصحيفه الى الاقاليم بواسطه طائرات خاصة

وتتنافس الصحف فى أن تكون الاولى فى نشر الاخبار ذات الشأن وتستعمل فى ذلك اسرع وسائل النقل وكثيرا مايخاطر مراسلوها بحياتهم للوصول الى تلك الاخبار .

سافرت الصحفية الفرنسية المعروفة تيتيانا على طائرتها فى جو كثير الرياح والغيوم ارسلتها احدى صحف باريس لموافاتها بأنباء ثورة فنزيلوس فى اليونان منذ عامين ونزلت وسط جزيرة كريت وكانت الثورة على اشدها فى الجزيرة ولكن تيتيانا لم تتراجع أمام تلك النيران المشتعلة بل قامت بمهمتها خير قيام ونشرت الصحيفة أول رساله منها بعد نشوب الثورة بثلاثة ايام

واذا قلبت صحائف احدى تلك الجرائد لاحظت أنها لاتخلو يوما من وصف جريمة من الجرائم المنكرة التى يهتز لها الرأى العام لفظاعتها ووحشيتها فتسهب الصحف فى وصف دقائقها وظروفها ولا تترك شيئا من التفاصيل وكل ماكان تافها الا ذكرته وتفسح لها صدرها وتنشر صور أولئك المجرمين فى الصفحة الأولى منها . ومن تلك الحوادث التى ظلت صحف باريس والأقاليم تتحدث عنها أسابيع بل شهورا حادث مصرع القاضى برنس الذى قتل على أثر كشف القناع عن جرائم ستافسكى وسرقاته وقد كان قتله لاخفاء معالم جرائم ستافسكى لأن القاضى برنس كان يشتغل بالتحقيق فى هذه القضية وكاد يكشف النقاب عن أسماء شخصيات كبيرة عاونت مسرح ستافسكى فى اختلاساته التى تعد بعشرات الملايين من الفرنكات

وهذه فيوليت نوديير الفتاة الصغيرة التى لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها حين قتلت أباها وحاولت قتل أمها كى تظفر بمالها . كانت تلك رغبتها الشنيعة التى فكرت فى تنفيذها حتى تستطيع الانفاق عن سعة على عشيقها وكان هذا طالباً بكلية الحقوق. وتفاصيل هذه الجناية الفظيعة مما ترتاع له النفوس وتحار العقول فى أمر هذه الفتاة التى لم تكتف بتنفيذ جريمتها بل حاولت التخلص من تبعاتها باتهام ابيها أشنع التهم

وقضية بونيه المحامى فى بلدة صغيرة قرب ليون الذى كان يذبح ضحاياه ويخفى معالم جرائمه باذابة الجثث فى الحوامض الكيمائية . ثم قضايا تعذيب الاطفال التى يرتكبها الآباء والأمهات للتخلص من أطفالهم الأبرياء بتعذيبهم وقتلهم . أرملة ترك لها زوجها طفلة فى الخامسة من عمرها أرادت الزواج . برجل آخر اشترط عليها أن ترسل بابنتها الى احد الملاجىء أو تتخلص منها بأى طريقة

فماذا فعلت هذه الأم ؟ كانت تحبس ابنتها فى كهف المنزل المظلم الرطب اياما كاملة دون أن تعطيها طعاما أو شرابا الى أن ماتت المسكينة افظع ميتة . نعم ، لقد استطاعت هذه السيدة بل هذا الوحش الضارى أن تتزوج من رجلها المنشود وتسعد معه بضعة أيام .. ولكن عين العدل لا تنام اذ كشف التحقيق عن جريمتها الشنعاء وحكم عليها هى وزوجها بالسجن المؤبد . لقد ذهبت لمشاهدة الجلسة الختامية لتلك القضية يوم النطق بالحكم وليس فى مقدرتى أن أصف لك ذلك المشهد وهذه الدموع التى كانت تسيل من عيون الحاضرين وهذا الحزن وتلك الصيحات العالية أصوات الاستنكار والاستفظاع :وعند ما نطق الرئيس بالحكم ، هللوا وصفقوا وهدأت ثورة نفوسهم لأن القضاء العادل قد انتقم لتلك الطفلة البريئة

وحوادث العصابات المسلحة التى تهاجم المصارف الكبرى فى وسط النهار ويكاد يذهل المرء اذ يفكر كيف يجرؤ هؤلاء على فعلتهم غير آبهين بهذا العدد الكبير من الناس الذى لا ينقطع سيلهم عن المصرف ثم هذه الحركة الدائمة وهذا النشاط المستمر فى الشوارع المحيطة به .وحوادث خطف الأطفال والنهب والسلب تفسح أكثر الجرائد صدرها لهذه الحوادث الاجرامية وتأتى بتاريخ حياة هؤلاء المجرمين فتجعلهم بين عشية وضحاها أبطالا مشهورين .أما العلماء والمفكرون والمخترعون ممن قاموا بجلائل الأعمال فهؤلاء قلما تكتب عنهم سوى بضعة أسطر لا تعد شيئا الى جانب مقالاتها الطويلة المسهبة عن الجرائم والمجرمين

وتصدر فى باريس صحف ومجلات أسبوعية وشهرية خاصة بأخبار المسارح والملاهى حافلة بالصور العادية والقصص الغرامية والبوليسية

الرياضة البدنية

يوجه الفرنسيون الى الرياضة البدنية اهتماما لا يقل عن اهتمام اخوانهم الانكليز . يمارسون ضروبا كثيرة منها مثل كرة القدم والسباحة والتجذيف والتنيس والجولف والسير على الأقدام لمسافات طويلة وركوب الدراجات والسيارات وسباق الخيل وركوب الطائرات وترى الشبان والفتيات أكثر الفرنسيين إقبالا عليها وتعلقا بها . واحتفالاتهم الرياضية ومسابقاتهم كثيرة لا يمر أسبوع واحد دون أن تقرأ عن مسابقة كذا للدراجات أو السيارات أو مباراة لكرة القدم أو التنيس أو حفلات سباق الخيل فى لونج شان أو فانسين أو أتوى أو سباق بين جرسونات القهوات وهو من أطرف المسابقات التى شاهدتها تراهم يتسابقون فى بولفارات مونمارتر وهو من أكثر الشوارع حركة وقد حمل كل منهم فى يده صينية عليها زجاجة وكوب مملوءين بسائل ملون والفائز الاول هو الذى يصل الى نهاية السباق دون أن يضيع شيء من السائل وفى المقدمة وقليل منهم يصل الى نهاية السباق دون أن تسقط منه الزجاجة أو الكوب أو كلتاهما معا فيضحك منه جمهور المتفرجين المصطفين الى جانبي الطريق

ومن أكبر مسابقات الرياضة فى فصل الصيف مسابقة الدراجات حول فرنسا يقضى فيها المتسابقون شهرا كاملا ويقطعون فى خلالها جبال البرانس الصخرية وسهول اللانجدوك وجبال الألب وممراتها الضيقة ومنحدراتها ومستنقعات دلتا الرون ويمرون فى طريقهم ببحيرة ليمان وقصور اللوار وليل ودوبيه حيث مصانع النسيج ومناجم الفحم الشهيرة . ويصحبهم فى هذه الرحلة الطويلة الشاقة جمهور كبير من الصحافيين والمصورين والمدربين ومحبي الرياضة يقطعون أحيانا أكثر من ثلاثمائة أو اربعمائة كيلومتر فى اليوم الواحد ثم يقضون ليلتهم فى أحد فنادق المدينة التى تصل اليها قافلتهم فى المساء ويفوز الأول فى هذا السباق بجائزة مالية كبيرة تبلغ عشرة الاف جنيه وتقام مسابقة الستة أيام الشتاء مرة كل عام فى بناء الالعاب «فيلودروم ديفير» . يفد اليها الباريسيون من كل حدب وصوب فهو من أكبر المهرجانات التى يقيمونها للالعاب وينتظرونها كل عام فى شوق وشغف

يبدأ السباق فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم الاثنين وينتهى مساء الاحد التالى فى

الساعه الحادية عشرة أيضا . وينقسم المتسابقون الى خمسة عشر فريق وكل فريق مكون من اثنين وفى خلال هذه الستة الايام يجب أن يشترك واحد من كل فريق فى السباق فاذا شعر بالتعب حل زميله مكانه الى أن يتعب هذا الاخير وهكذا فى خلال المائة وأربع وأربعين ساعة وهم يدورون حول حلبة السباق ولا تخلو مقاعد المتفرجين فى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار وهى تزدحم بجموعهم بعد منتصف الليل اى بعد انصراف دور السينما والتمثيل وكثيرا ماتري بين المتفرجين بعض نجوم المسرح والسينما ممن ذاع صيتهم وتألق نجمهم فى الخافقين ورجال الادب والسياسة والمال وغيرهم من العظماء والمبرزين ولكنك تري الأغلبية الساحقة من رجال الرياضة والمهتمين بأمرها وجلس عدد كبير من المتفرجين حول موائد الطعام وسط حلبة السباق يتناولون طعام العشاء ويحتسون الخمر . وعند الفجر يأخذ عدد المتفرجين فى التناقص يعودون الى منازلهم ولا يبقى الا المتسابقون يدورون حول الملعب دوراتهم التى لاتنتهى . اما محبو الرياضة وبعض هؤلاء الأصدقاء فأمرهم عجب اذ يعودون الى دورهم عند الفجر ولايلبثون أكثر من أربع أو خمس ساعات حتى يظهروا ثانية فى مقاعدهم وقد حملوا معهم طعامهم وزجاجات النبيذ لأن اثمان المطعم باهظة تراهم على مقاعدهم الساعات الطويلة يشاهدون اللعب فى حماسة ونشاط متجدد مستمر يصفقون ويهتفون وقد ارتفعت اصواتهم وعلا ضجيجهم

الاعياد فى باريس

اهم الاعياد الدينية عند الفرنسيين عيد الميلاد فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ومنذ الاسبوع الاول من هذا الشهر تشعر باقتراب هذا العيد اذ تزدان واجهات الحوانيت والمحال التجاريه الكبرى مثل لافاييت والبرنتيان والاوتيل دو فيل بصنوف اللعب للاطفال يهرعون اليها بصحبة آبائهم وامهاتهم لرؤيتها أو مشاهدة ما تعرضه بعض تلك المخازن التجارية من مناظر تمثيلية شائقه يتسلى الاباء والبنون برؤيتها وتضاء واجهات هذه المخازن وكثير من المتاجر الكبيرة والصغيرة بالالوان الكهربائية ذات الوان واشكال مختلفة وتبقى كذلك حتى ساعة متأخرة من الليل

وتقام الاكشاك الخشبية على جوانب الشوارع الكبيرة كالجراند بولفار وسان ميشيل والباستيل وميدان الجمهورية تعرض فيها الوف الحاجيات الصغيرة التى يكثر شراؤها أيام الاعياد مثل الكتب والصور واللعب الصغيرة ثم مطابع لعمل بطاقات الاعياد ومعارض ومتاحف تجذب اليها الكثير من عامه الشعب ومن زائرى باريس من أهل الريف

وتقام حفلات راقصة فى جميع مسارح المدينة وفنادقها الكبرى ومراقصها وكازيناتها وحاناتها وقهواتها فى ليلة عيد رأس السنة « Le reveillon » يعدون لها أفخر الطعام والشراب ويظل القوم فى بهجة وسرور حتى صباح اليوم التالي . وفى هذا اليوم يتبادلون بطاقات التهنئة ويرسلون الى اصدقائهم باقات الزهور الجميلة

ويقصد طلبه الحى اللاتينى الى فنادق لوتيسيا ودورسيه حيث تقام حفلات الرقص حتى الصباح وبال بوليه وقد اغلقت أبوابه منذ عام لتحويله الى احواض للسباحة وكان من أبهج مراقص الطلبة وأحفلها بهم منذ أكثر من خمسين عام

وهناك كثير من المراقص الصغيرة والموزيك هول احدها ملاصق لقهوة الداركور (والجيبسى) و (النوكتامبول) و (الاوبلييت) و(وتانجو القطة) و ..... وكلها تمثل روح الحى اللاتينى والروح الباريسية اصدق تمثيل يروقك ماتراه من ترتيب موائدها وراقصاتها وموسيقاها واغانيها وما تشاهده من لهو الطلبة فى تلك الليالى

وتحتفل العائلات أبهج الاحتفالات بهذه الاعياد فيجتمعون حول شجرة عيد الميلاد وقد

أضيئت بالشموع وعلقت فى فروعها اللعب الصغيرة ينشدون حولها أغانى لعيد الشجية ويتناولون أشهى الطعام وأفخر الشراب وقد اجتمع حول المائدة أفراد العائلة كبارهم وصغارهم . واصدقاء العائلة واذا ما انتهوا من تناول عشاء (الريفيون) انتقلوا الى قاعة الاستقبال وقد ازدانت بالورد والازهار وقد اعدت فيها حلقة للرقص يرقص فيها الراقصون من الشيوخ والشبان مع الفتيات والنساء من مختلف الاعمار . وتشهد رقصات البولكار والكادريل العتيقة ورقصات هذا العصر من فالس وتانجو وبوستون .

وفى عيد ١٤ يوليو ذكري هدم الباستيل سجن الابرياء ومعقل الظلم والاستبداد تلبس باريس ثلاث أيام وثلاث ليالى حلة زاهية من الزينات المنسقة تنسيقا بديعا . فتضاء الميادين والشوارع بالانوار القوية وتزدان نوافذ المنازل وواجهات المتاجر على أختلافها والسيارات وعربات الترام والاوتوبيس بالاعلام الفرنسية ذات الثلاث الوان رمز المساواة والحرية والاخاء ويهرع الباريسيون الى شوارع المدينة حيث جوقات الموسيقى يرقصون ويهتفون لذكرى الحرية وينشدون المارسلياز ويقضون الليل كله فى الرقص . فالميادين والشوارع والقهوات والحانات تعج بالالوف منهم واكثر ما تكون جموعهم فى ميدان البورصة بقرب البولفار والباستيل وميدان الجمهورية وميدان السربون حتى لا يستطيع المرأ الانتقال من مكان الى آخر الا بشق الانفس . تراهم فى ذلك اليوم كتلة واحدة لا فرق فى ذلك بين افراد الاحزاب المتنافرة . هم اليوم فرنسيون قبل كل شىء لا فرق بن صغير أو كبير أو غنى أو فقير .

وتمثل فى يوم ١٤ يوليه اكبر الروايات الغنائية والتمثيلية فى الاوبرا والابراكوميك والكوميدى فرانسيز والاوديون يحضرها الجمهور دون أجر . وللقارىء أن يتصور العدد الهائل من المتفرجين الذى تضيق بهم أكبر دور التمثيل فى باريس على اتساعها

ومن اعيادهم الطريفة عيد سانت كاترين وهو عيد الفتيات اللاتى تجاوزن الخامسة والعشرين وهن بعد عوانس لم يتزوجن . تخرج الفتيات فى جماعات الى طرق المدينة وقد ارتدين ابهج الحلل ووضعن على رؤوسهن قبعات من الورق تنوعت الوانها واشكالها . ينشدن اغانى سانت كاترين شفيعتهن وكثيرا ما يقصدن احياء الشباب فى مونبارناس والحى اللاتينى يعاكسن المارة فى طرقاتها من الشبان ويدعونهم الى الرقص معهن وتقام مسابقات فى المولان روج والبتى جورنال ولونابارك لانتخاب ملكات الجمال لفتيات سانت كاترين « الكاترينيت »

ومسابقات الجمال كثيرة فى باريس فينتخبون كل عام ملكات للجمال لمدنها وقراها واسواقها

ومعارضها واعيادها والمعاملات فى محال الازياء وصالونات الحلاقة والمصانع والمتاجر ولبائعات الخضر واللحوم والخبز . ينتخبن كل عام فى حفلات بهيجة يجعلونها فى أكبر فنادق المدينة وفى باريس فى الكوليزيوأ والتاباران وكازينو دى بارى وتجري فى هذا الاخير مسابقات لانتخاب مس فرنسا كل عام ويشهدها جمع غفير من نجوم السينما والمسرح وبعض كبار رجال الحكومة

وفى اليوم الثانى من نوفمبر « عيد جميع القديسين » يزورون المقابر وينثرون على قبور موتاهم أجمل الزهور وهو عيد رسمى تعطل فيه الحكومة اعمالها

وكذلك عيد الهدنة فى ١١ نوفمبر تحتفل باريس به فى ميدان الاتوال حيث قوس النصر العظيم الذى شيده نابليون تذكارا لانتصاراته وقد زينت جدرانه بتماثيل ورسوم تمثل تلك المواقع التى كتب له فيها بالنصر والظفر على اعدائه وبنوا تحت هذا القوس قبر الجندى المجهول اشعلوا فوقه نارا لا تطفأ بل هى دائمة الاشتعال الى ماشاء الله وكتب على غطاء القبر هذه الكلمات

« هنا يرقد جندى فرنسى مات شهيدا من أجل حياة الوطن » ففى يوم ١١ نوفمبر ذكري انتهاء الحرب العظمى «١٩١٤ - ١٩١٨ » يقام احتفال عظيم واستعراض عسكرى يحضره رئيس الجمهورية الفرنسية ووزراء الدولة وعظماؤها والسفراء والمحاربون القدماء

يمرون أمام القبر كاشفين عن رؤسهم خاشعين ويضعون فوقه أكاليل الزهر والغار

ويحيط بميدان الاتوال عدد كبير من اجمل شوارع باريس واكبرها شارع الشانزلزيه يبدء فى ميدان الكونكورد وينتهى فى الاتوال وبه افخر فنادق باريس كلاردج وجورج الخامس ومقاهى التريومف والكوليزية ويقابله فى الجهة الثانية من الميدان شارع بولونيا تحيط به الفيلات والحدائق الجميلة والمنتزهات غرست بها الاشجار الباسقة وفرشت ارضها بالحشائش الخضرا والزهور اليانعة . وفى نهاية هذا الشارع غابة بولونيا يقصدها الباريسيون و الباريسيات للنزهة على اقدامهم بين الحراج الواسعة او فى السيارات فى طرقاتها المرصوفة ويهوع اليها أهل العشق والغرام من الشبان والفتيات ولكنك ترى الى جانبهم أحيانا من جاوزت اعمارهم الستين وقد جلس الرجل الشيخ الى جانب زوجته العجوز على احدى المقاعد الكثيرة المختفية بين الاشجار يبثها لواعج شوقه وغرامه

وللطلبة اعيادهم واحتفالاتهم يبدو فيها مرح الشباب ولهوه وأخصها بالذكر الكاتزار عيد طلبة الفنون الجميلة ومهرجانهم السنوى ودخوله قاصر على طلبة وطالبات الفن فلا يسمحون للطلبة

الاغراب عن مدارسهم ومعاهدهم بالاختلاط بهم فى تلك الليلة . يلقون عليك الاسئلة المختلفة عن شخصيتك فاذا كنت حقا من زملائهم واقنعتهم بذلك سمحوا لك بالدخول من باب الى اليمين أما الباب الثانى فيؤدى بامرء الى أحدى الشوارع الخلفية وبذلك يفقد كل أمل فى الدخول الى مهرجانهم اذا كان من الدخلاء و يرتدى طلبة الفنون فى تلك الليلة أقل ما يمكن من الثياب

وفى عيد طلبة الطب يخرج الطلبة فى موكب عظيم ويطوفون ببولفار سان ميشيل وسان جرمان والبانتيون وقد أخفوا وجوههم واجسامهم بازياء تنكريه

قصور ومتاحف

كنت أذهب أحيانا الى غابة فانسين فى أيام الآحاد للتروض فيها والتمتع بجميل مناظرها أو للتجذيف فى بحيرتها الصغيرة أو زياره حديقة الحيوان بها . وفى باريس حديقتان للحيوان الأولى ملاصقة لحديقة النباتات أو هى جزء منها والثانية فى غابة فانسين وضعت فيها الحيوانات فى أوساط تشابه أوساطها الطبيعية وقد حفروا خنادق ملأوها بالمياه حتى تفصل بين الحيوانات الضارية وبين المتفرجين من الرجال والنساء والأطفال يؤمون هذه الحديقة وتنقضى ألذ الساعات وأسعدها لديهم فى مشاهدة هذه الحيوانات ومداعبتها والقاء فتات الخبز اليها : ويحف بالغابة عند طرفها الغربى قصر فانسين العظيم تحيط به أسوار عالية يزيد طولها عن ألف متر

والدخول الى القصر مباح للجمهور فى أيام الآحاد والأعياد وأول مايقابل الزائر بعد دخوله هو هذا القصر الهائل بنى على هيئة قلعة حصينة . تم بناؤه فى عهد الملك شارل الخامس ووضع به جانباً من كنوزه وثروته حتى تكون فى مأمن وجميع غرفه واسعة كبيرة وبها من التماثيل والصور مايدعو المرء الى الاعجاب بمهارة صانعيها وكل من هذه التماثيل أو الصور تمثل فكرة فنية أو تاريخية خاصة تختلف كل الاختلاف عن بقية الصور والتماثيل . وقد جعل ملوك فرنسا السابقين من هذا الحصن سجناً لأعدائهم ومن يخشو بأسهم من الأمراء والاشراف ورجال الدين . وكان يلاقى فيه هؤلاء من صنوف العذاب الوانا وأشكالا وأمام هذه القلعة اذا أردت تسميتها كذلك توجد كنيسة صغيرة آية فى الجمال والابداع ولكنها لسوء الحظ لم تنج من عبث الثوار أيام الثورة الفرنسية الكبرى بل امتدت أيديهم الى تماثيلها ونقوشها فحطمتها وأذالت معالمها

ويرى الزائر الى يمين هذه الكنيسة قصر الملك والى يساره قصر الملكة بناهما « لوفو » أكبر مهندسى فرنسا فى عهد لويس السادس عشر

وقد أنشئت أول مدرسة حربية فى فرنسا فى قصر الملك سنة ١٧٥٣ . ونقلت هذه فيما بعد الى مكانها الحالى فى ساحة الشان دومارس أمام برج ايفل .

بنى هذا البرج المهندس الكبير جورج ايفل فى أواخر القرن المنصرم ويبلغ ارتفاعه ٣٠٠ متر صعدت الى الطبقات الأولى والثانية منه وبها مقاهى ومطاعم وأكشاك صغيرة — يباع فيها تذكارات جميلة للبرج . هذه باريس كلها تشرف عليها من أعلى البرج . أمامك البانثيون مدفن العظماء

الذي بني أولا على أن يكون كنيسة القديسة سان جنفيف حامية باريس . وكنيسة نوتردام دوباري وعمود الباستيل ومحطة ليون ببرجها المرتفع . وهذا هو حي الشانزلزيه بحدائقه وملاهيه والذى ينتهى بقوس النصر العظيم فى ميدان الاتوال . يعجب الانسان بمنظر باريس الفاتن وجمالها الهندسى البارع ويؤمن بأنها مدينة الفن والجمال

ويقع ملهى التروكاديرو فى الجانب الأيمن من نهر السين أزاء برج إيفل تماما . أقيم هذا البناء الفخم من أجل معرض سنة ١٨٧٨ وبعد ستين عام من تاريخ بنائه قامت الحكومة الفرنسية بهدمه أخيرا من أجل معرض باريس سنة ٩٣٧ الذى افتتحه رئيس الجمهورية الفرنسية فى نهاية شهر مايو المنصرم .

وقد كان التروكادير ملهى الشعب ويسع نحو أربعة آلاف متفرج وتشترك الفرق التمثيلية الكبرى بالتمثيل على مسرحه بأثمان زهيدة جدا حتى تتاح الفرصة للغنى مثل الفقير من مشاهدة الروايات التمثيلية الخالدة فاوست ولوهنجرن ونواقيس كرلوشقيل وتاييس وعايده والارملة الطروب التى تشترك فى تمثيلها فرق الأوبرا والكوميدى فرانسيز والاوديون

وفى الجناح الأيمن من قصر التروكاديرو متحف للتماثيل واخر جمعوا فيه ماتهم دراسته من عادات الاجناس البشرية وملابسهم وحياتهم المنزلية ومايستعملونه فى حروبهم من انواع السلاح

ومن المتاحف الصغيرة التى تجب زيارتها متحف قصر الملكة الذي سبق ذكره وهو مكتبة ومتحف فى آن واحد لآثار الحرب الكبرى ترى بها نماذج من الاسلحة والمدافع والدبابات والغواصات والطائرات التى استعملها المحاربون فى ميادين القتال وجميع السجلات والكتب والصحف والوثائق التى تتعلق بهذه الحرب وأسبابها وتفاصيل مواقعها وانتصاراتها أوخذلانها ذكريات حرب كانت أعظم محنة أصيبت بها أوربا والعالم أجمع تراها وهى لم تنهض بعد من كبوتها ولم تتلخص بعد من نتائجها الوبيلة وعواقبها السيئة تتنافس وتتسابق فى اعداد العدد لحرب أخري ستكون دون شك شرا من الاولى وقانا الله اياها وهدى قادة تلك الامم الى مافيه سلام العالم وخيرة ورفاهيته . ومتحف «كلونى» بالقرب من جامعة السربون وبه تماثيل ونقوش وأبواب ونوافذ ونماذج من الاوانى الفخارية وبعض الطنافس العتيقة من آثار العصر القوطى وما يليه من العصور ومما يشاهد فيه حذاء لنابليون الاول وثان لزوجته جوزفين وضعت فى صناديق من الزجاج مع أحذية وتحف أثرية ثمينة أخرى كانت لملوك فرنسا السالفين وقصر فرساى الذي أصبح متحفاً يأتى اليه السائحون من كل فج ويصل اليه الزائر بواسطه الترام أو القطار الكهربائى السريع من محطة الأنفاليد ويقضى الباريسيون فى حدائقه أيام عطلاتهم . وقد غرست فى تلك الحدائق الغناء

التى لا يدرك مدي اتساعها البصر كثير من الاشجار الباسقة تتخللها أكثر من أربعمائة بحيرة صغيرة أجملها بحيرة «نبتون» اله البحر أمام القصر الكبير بها نافورات عظيمة للمياه على هيئة تماثيل من الاسود فاغرة أفواهها التى تتدفق منها المياه

وقدحوى القصر نحوا من مائتى قاعة جمعت من الصور والتحف والتماثيل والاثاث النفيس مايعجز القلم عن بيانها شاهدت باحدى تلك القاعات ساعة تدل على أوصاف السماء والقمر والكواكب والسنين والشهور والأيام والساعات والدقائق والثوانى . وغرفة نوم الملك لويس السادس عشر تشرف على حديقة القصر والقاعة الكبري التى اجتمع فيها مؤتمر فرساى وعقدت فيه المعاهدة المشهورة بذاك الاسم ورسم على جدران قاعات القصر ألواحا كبيرة رسمها أشهر المصورين والنحاتين منذ ثلاثة قرون يستعرض الزائر برؤيتها تاريخ فرنسا وحروبها منذ حكم شارلمان حتى آخر أيام نابوليون

وقاعة المرايا زينت جدرانها بالمرايا المتقابلة وعلى سقفها صور رائعة ذات الوان زاهية بينها صورة رسمها شارل لوبران تمثل امرأة «فرنسا» جلس عند اقدامها أسد خائر القوى مغلوب على أمره «أسبانيا» وهذه اللوحة الفنية الرائعة الوحيدة من نوعها فى فرنسا من حيث الابداع والاتقان رمز لسيادة فرنسا على اسبانيا . وأخري تمثل حروب لويس الرابع عشر فى مقاطعة الفرانش كونتيه بالقرب من بيزانسون ثم قاعة «ديانا» وتليها قاعة «مارس» فى صدرها صورة بديعة للملك لويس الرابع عشر ممتطيا صهوة جواده وكانت تقام فى هاتين القاعتين حفلات الرقص والتمثيل والموسيقي يحضرها الملك والملكة وحاشيتهما

وأول مايستقبل نظر الزائر فى قاعة السعادة والرخاء هذه الصور الرائعة التى نقشت على سقفها ترى بها صورة امرأة نصف عارية أمسكت بيدها اليمنى صولجان من الذهب وتشير الى قاعة المداليات وبيدها اليسرى كيس كبير تنتثر منه قطع النقود والجواهر الثمينة .

وقاعة المؤتمرات انشئت حديثاً لاجتماع النواب والشيوخ عند انتخاب رئيس الجمهوريه

وفى طرف حديقة القصر المترامية الاطراف يوجد قصران التريانون الكبير والتريانون الصغير أصبحت اليوم متاحف ترى بها العربات الملكية القديمة التى كان يستعملها ملوك فرنسا فى تنقلاتهم وبها كثير من أثاثاتهم وملابسهم وصور تمثل تاريخ حياتهم. أهدى لويس السادس عشر قصر التريانون الصغير الى زوجته مارى انتوانيت . أحبت هذا القصر حباً جماً وكانت تأتى اليه كل يوم لذلك اعتنت بتنظيم أثاثه وتجميل حدائقه وبنت بالقرب منه معبدا للحب وهو آية من آيات الفن والجمال الرائع والذوق السليم وهو عبارة عن اثنا عشر عمودا من الرخام الابيض موضوعة

فى حلقة دائرية وفى وسطها تمثال لالهة الحب ثم أمرت ببنـاء قصر اخر صغـير على شاطىء البحيرة الـكبيرة فى استطاعتك الدخول اليه وزيارة شرفاته وقاعاته . وأنت اذا وقفت فى شرفـته الواســعة المطــلة على البحيرة راعك هذا الجمال الشعرى البديع حتى انك تغبط حـراس القصر على حياتهم السعيدة فى أجمل بقعة على وجه الارض

بير لاشيز ومقابر باريس

كان لى صديق من الطلبة الصينيين ذهبت يوما لزيارته فى غرفته الصغيرة التى يستأجرها فى الطرف الثانى من باريس فى «بيت الشباب» الذي انشأه جيش الخلاص للطلبة الغرباء عن باريس وقد توفرت فيه أسباب الراحة من تدفئة وغرف نظيفة جدا ومرتبة أحسن ترتيب وحمامات ساخنه ومياه جارية فى جميع الطبقات وفى الدور الاسفل قاعة للطعام يستطيع الشاب أن يتناول فيها غذاءا صحيا بمبلغ خمسة فرنكات وهو أحد المطاعم النادرة فى باريس التى يوفر فيها الطالب البقشيش إذ يقوم كل شاب بخدمة نفسه بنفسه . وعند دخوله الى قاعة الطعام يتناول صينية وكوب وأدوات المائدة ويمر بين صفين من الموائد وضعت عليها ألوان الطعام المختلفة يختار منها مايشاء ثم فى نهاية هذا الممشى يقوم أحد موظفى بيت الشباب بتقدير اثمان اصناف الطعام التى وقع عليها اختياره ويكتب ذلك على بطاقة من الورق ويجب على الطالب دفع ما رقم عليها من الفرنكات والسنتيمات قبل مبارحة قاعة الطعام .

ويجرى العمل فيه بكل سهولة وهناك مطعمين آخرين فى باريس على شاكلته وكلاهما للطلبة أحدهما فى المدينة الجامعية والثانى فى الحى اللاتينى وراء البانثيون

وفى بيت الشباب الى جانب المطعم حجرات لمطالعة الصحف والمجلات ولالقاء المحاضرات التهذيبية والدينية او للاستذكار أو لعب البنج بونج أو الشطرنج . وتقفل أبوابه فى الساعة الحادية عشرة مساءا على ألا تفتح قبل الساعة السادسة من صباح اليوم التالى . ويشرف رؤساء هذه الدار على حياة الشبان المقيمين به وجعلوا عليهم رقابة شديدة واثمان الغرف به زهيدة جدا اذا ماقيست بغيرها فى الحى اللاتينى ولكن لبعده عن هذا الحى ولتلك الرقابة الشديدة التى لا يحتملها الطلبة لانهم يحبون الحرية لذلك لايسكنه كثيرا من الطلبة. جلست فى غرفة صديقى برهة من الزمان خرجنا على أثرها للسير قليلا فى أحياء منيلمونتان. وبير لاشيز وسكانها من العمال رقيقى الحال .وسارت بنا اقدامنا الى مقابر بير لاشيز دخلنا لزيارتها وفى ذلك للاحياء دروس وعظات بليغة . نحن فى مدينة الاموات وقد خيم عليها سكون رهيب ... أمام مدافن عظماء الرجال من أهل العصرين الماضى والحاضر.

أليس من الغريب حقا أن ترى رجلين كانا فى حياتهما خصمان وعدوان لدودان جمعتهما بعد الموت مقبرة واحدة . وتجد عكس ذلك . ربما سمعت أيها القارىء العزيز عن قصة العاشقين أبيلار

وحبيبته هلويز ومأساة غرامها وكيف انقضت حياتهما يشكوان الم الفراق ولوعته قد استطاع الموت أخيرا أن يجمع بينهما فى قبر واحد وأقيم فوقه نصب تذكارى جميل يحج اليه كل فتى وفتاة ممن أكتوت قلوبهم بنار الحب يستمدون من روحيهما الطاهرتين قوة وعزاء

مررنا خاشعين أمام قبور موليير وبلزاك وموسيه وشاتنون ولا فونتين وبرناردان سان بيير وكلهم من أعلام فرنسا ورجالها البارزين الذين رفعوا لواء الادب والشعر والسياسة فى بلادهم. وقد استوقفتني أبيات شعرية فوق قبر ألفرد دي موسيه هذه ترجمتها نثرا. «أوصيكم أيها الأصدقاء الأعزاء بأن تغرسوا الى جانب قبرى شجرة صفصاف تظلل قبري بعد وفاتى. كنت فى حياتى أحب الجلوس تحت ظلالها وأتأمل اوراقها الصفراء الباهتة» وتجد شجرة صفصاف كبيرة فوق قبره الهادىء تظلله بأوراقها الصفراء حتى اليوم

أما مغارة باريس فمكانها فى ميدان «دنفير روشيرو» أمام تمثال الأسد الرابض اسم تمثال اسد بلفورت تخليدا واشادة بذكرى المقاومة العنيفة والشجاعة النادرة التى أبداها سكان بلفورت فى مقاطعة اللورين أمام الألمان فى حرب سنة ١٨٧٠. صنع هذا التمثال برتولدي أعظم وأمهر مثالى فرنسا فى القرن الماضى. وكانت تستعمل مغارة باريس أولا لقطع أحجار المبانى ثم نقلوا اليها عظام الموتى من المقابر المجاورة للمدينة فى احتفالات دينية ومواكب عظيمة يمشى أمامها الكهنة بعد الصلاة عليها وكان ذلك يجرى فى اثناء الليل واستغرق نقل عظام الموتى الى مكانها الجديد أعواما ثم رتبت فى أشكال متناسقة على جانبي طريق طويل مظلم لاتستطيع السير فيه دون دليل يهديك الطريق على ضوء شمعة أو مصباح صغير ويقدر بعضهم عدد الهيا كل التى تغطى عظامها جدران المغارة بستة ملايين

وبها بعض مصابيح عليها نقوش أثرية طريفة وقبور كتب على بعضها: «قف وتأمل! هنا عالم الاموات.» وعلى غيرها. «لاتنس انك لم تك إلا ترابا والي التراب تعود» فتشعر أمامها بجلال الموت ورهبته

ولم يكتف الباريسيون بحفر هذه المغارة الهائلة التى تمتد من المونت دوج الى حديقة مونتسورى ومن تومت ايسوار الى حديقة اللوكسمبرج والمرصد والبانثيون بل حفروا الى جانبها أنفاقا تمتد تحت شوارع المدينة تسير فيه قطارات المترو ويتصل قسم المدينة الشرقى بقسمها الغربى بأنفاق حفرت تحت نهر السين أو على جسور قوية بنيت فوقه وتألفت من ثلاث طبقات الاولى لمرور الناس والثانية للترام والثالثة للمترو وفى جهة أخري تسير فوق جسور حديدية أقيمت فى وسط الشوارع وترتفع عن مستواها باكثر من ثلاثين مترا يعبر تحتها السابلة وعربات الترام والسيارات.

باريس بلد المتناقضات

قال فيكتور هوجو : « انت يا باريس تجمعين بين العمل والنشاط واللهو والسرور والصلاح والتقوى . أن من ينظر اليك يتولاه العجب وينتابه ضرب من الذهول . ليس فى هذا العالم مدينة أعظم أو أجمل منك . تحملين بين ثناياك من خفايا أكثر من اى مدينة أخرى فى الخافقين »

عجبا لباريس ! لقد جمعت حقا بين العمل والدين و اللهو بين الجد واللعب بين الله و الشيطان . بين كفاح الرجل وسحر المرأة .... اذا ذهبت الى شارع البولفار ورايت أنواره المتلألئة الساطعة ووقفت على حركة السيارات التى لا تنقطع لحظة واحدة ثم شاهدت دور السينما ودور التمثيل ودور اللهو الاخرى وواجهات المتاجر التى نظمت باشكال تجذب اليها الانظار واذا سارت بك قدماك الى حدائق بولونيا الرائعة أو فرساى حيث قصور ملوك فرنسا السابقين تحيط بها الحدائق الغناء الواسعة واذا ذهبت يوما الى مونمارتر بعد منتصف الليل ودخلت الى بعض مراقصها وكبارياتها أو كنت من رواد قهوات الكوبول والروتوند فى مونباناس . واذا ما دفعك حب الاستطلاع الى زيارة احياء منيلمونتان و بيلفيل حيث يقطن العمال أوالى أوتوى والشانزلزيه مواطن الغنى والثروة والابهة والترف واذا أخذت على عاتقك زيارة معابدها مثل كنيسه نوتردام دوبارى أو المادلين أو الساكركور أو سان سيلبيس أو سانت أوجستين والجموع جاثية فى خشوع أمام خالقهم . واذا كنت من عشاق الحى اللاتينى والسربون وبولفار سان ميشيل والبانثيون فلا تظن أن هذا هو باريس . باريس هى كل ذلك بل هى أكثر من ذلك أليست هى باريس أكثر سكانها من النازحين اليها من مقاطعات فرنسا ومستعمراتها والاقطار المجاورة لها : هناك النورمانديين والالزاسيين والجاسكونيين والسنغاليين والجزائريين والاندوسيين . ومن الاجانب الطليان والروس والبلجيكيين والرومانايين واليهود والارمن والبولونيين و .....

وفى باريس معابد تقام فيها شعائر جميع الأديان ترى بها كنائس للكاثوليك والارثوذكس والبروتستنت والانجيليين والخلاصيين والسبتيين ومعابد لليهود وجوامع للمسلمين بنى جامع باريس على طراز جوامع بلاد المغرب وهو غاية فى الجمال يقيم فيه المصريون وسائر المسلمين

صلاة الجمعة وفى الأعياد التى يحتفلون بها احتفالات شائقة يؤمها كثيرا من الشرقيين وإلى جوار المسجد قهوة شرقية ومطعم يأتى اليها كثير من السائحين الأمريكيين والانجليز لتناول القهوة العربية والشاى المغربى والأطعمة الشرقية ويستمعون إلى المغنين والموسيقيين من مصريين وتونسيين وجزائريين ويزورون الحمام العربى والسوق تباع فيه بعض المصنوعات الشرقية من أوان نحاسية وطنافس ومحافظ للنقود من الجلد المحلى بالنقوش العربية .

أما كنيسة نوتردام دو بارى التى خلد فيكتور هوجو ذكرها فى قصته عنها . أقيمت وسط جزيرة السيتيه على نهر السين ولا يفصلها عن الحي اللاتيني سوى قنطرة نوتردام وأمام بناء الكنيسة الشامخ رحبة فسيحة يقوم فى طرفها الشرقى مستشفى (الأوتيل ديو) من أكبر مستشفيات المدينة وهو أقدم من مستشفى (سان لويس). وفى الطرف الجنوبى من ساحة نوتردام ادارة البوليس العامه وأول ما يراه الزائر من هذه الكنيسة أبوابها الثلاثة يحيط بها مئات من التماثيل الصغيرة فى صفوف فوق بعضها تمثل القديسين وقد وضعت فى نظام هندسى رائع يأخذ على الانسان مشاعره وفوق هذه التماثيل نافذة دائرية الشكل نقش على زجاجها الملون صور دينية ويعلوها برجى الكاتدرائية لم يتم بناءهما لذلك تجد أحد هذين البرجين أكبر من الثانى

هذه كنيسة نوتردام ببرجيها وهيكل بنائها المنحنى فى بعض أجزائه يتكىء على صفوف من المساند الحجرية المنحنية قليلا . ثم سقفه تبرز منه سهام صاعدة نحو السماء أتقن بناؤها إلى حد كبير . إذا نظرت اليها من أعلى برج إيفل أو من فوق قنطرة (البون نوف) خيل اليك ان كنيسة نوتردام دو بارى سفينه تمخر عباب البحر

ومما تجب زيارته داخل الكنيسة متحفها الذى يجمع من الأكاليل والتيجان المرصعة بأنفس الأحجار الكريمة وأكليل الشوك الذى وضعه اليهود على رأس المسيح يوم صلبه كى يسخروا منه . وهو كنز ثمين للكنيسة المسيحية لا يقدر بثمن . كذلك برجها تصعد إلى قمته على درج حلزونى مظلم فاذا ما وصلت إلى تلك القمة رأيت باريس حولك كما رأيتها من أعلى برج إيفل وتشاهد تماثيل بعض حيوانات تزين سطوح الكنيسة وجدرانها من الخارج يروى عن سبب وضعها قصص خرافية قديمة تعود إلى اعتقادات دينية عتيقة

وأجمل كنائس باريس على الاطلاق كنيسة المادلين شيدت على طراز المعابد اليونانية القديمة وتعتمد سقوفها على صفوف من الأعمدة الهائلة وتزين جدرانها تماثيل كبيرة من الرخام لأشهر القديسين وتحيط الأعمدة المصنوعة من المرمر بجدران الكنيسة من الداخل فازدادت بذلك جمالا وبهاء وزينت تلك الجدران بمجموعة كبيرة من الصور تمثل حياة القديسة مارى مادلين «مريم المجدليه»

ليالى باريس

كان من نتائج الحرب الكبرى أن ازدادت رغبة الناس إلى اللهو وجعلوا يقبلون على ضروبه إقبالا لم يعهد له مثيل من قبل لا فرق فى ذلك بين الغنى والفقير والعامل أو صاحب المصنع والوزير والصعلوك . تراهم قد أوجدوا لكل طبقة من الناس ما يناسب حالتها . يتناول الباريسيون عشاءهم عادة فى الساعة السابعة ثم اذا دقت الساعة الثامنة ظهروا من جديد وازدحمت بهم شوارع باريس وسياراتها وترامها وقطارات المترو بها يقصدون أحياء اللهو وقد ارتدوا أجمل ما لديهم من ملابس السهرات بعد أن كانوا يرتدون ملابس العمل البسيطة قبل ذلك بساعتين . ترى الأغنياء منهم يقصدون الشانزليزيه وكباريهات مونمارتر وكازيناتها ومراقصها كالسفنكس والتباران والغولى بيرجير وكازينو دى بارى ويذهب البعض الاخر إلى الأوبرا والأوبرا كوميك والكوميدي فرانسيز والجيتيه والـ A.B.C. وسان مارتان وقهوات لابيه ومدريد وماكسيم أو الكوبول والدوم التى تزخر بروادها من شباب الحى اللاتينى وطلبة الفنون والمصورين وكثير من السويديين والنرويجيين والأمريكان والانجليز والألمان من السائحين يقضون بها شطرا من ليلهم فاذا ما انتصف الليل قاموا إلى واحدة من هذه المراقص والحانات التى تبدأ عملها قبل الساعة الحادية عشرة أو منتصف الليل وتبقى حتى مطلع الفجر . تجد فى هذه المراقص كثيرا من الفتيات ممن يشتغلن فى أثناء النهار كعاملات فى المتاجر والمصانع والمكاتب فتعجب لامرهن كيف يستطعن هذه الحياة وكيف تقوى أجسامهن النحيلة على احتمال هذا العمل المستمر المضنى وقد جعلوا حياتهم بين العمل واللهو فكيف لهن براحة أجسامهن أو عقولهن . ترى الفتاة صفراء اللون شاحبة الوجه التى تخفيها ما استطاعت بالمكياج التى تتقنه . هذا النوع من الفتيات لا يجدن من عملهن اليومى مايسد حاجتهن فتراهن باحثات عن موارد الكسب فى هذه المراقص والحانات تكون فيما بعد سببا لاصابتهن بأخبث الامراض وتصبح الحياة عذابا مقيما تنحدر بهم غالبا إلى بيوت الفساد

وإذا تركنا هذه إلى الـ (chez elle) فى شارع الميشوديين وهو موزيك هول وكباريه لا تجد به مكانا خاليا لكثرة زواره وهو من أفخر كباريهات باريس الليليه سمعنا فيه بيلز وتابيت ولوسين . بوابيه فى أغانيها الشعبية الجميلة التى يرددها الفرنسيوين فى كل مكان كالاغانى « حدثنى عن الحب » و« تعالى نرقص » و« انتظر » وغيرها . وموديسيه

ونويل نويل الذى اشتهر فى تمثيل شخصية « ادمائي » أحد فرسان القرون الوسطى شخصية مضحكة مثل « دونكيشوت » عند الاسبانيين وجحا وأبو نواس عندنا . ينشدون الاغانى الفكاهية الطريفة ينتقدون فيها احيانا رجال السياسة من وزراء و نواب و شيوخ ورئيس الجمهورية نفسه واحوال السياسة الداخلية والاحزاب أو السياسة الدولية فى أغانى خفيفة الروح مضحكة مسلية . وعلى مقربة من محطة سان لا زار صالة (جافو) الموسيقية ومثلها صالة « بلايل » ترى أكبر فرق الموسيقى العالميه او الرقص الكلاسيكى فوق مسرحها وتدعو اشهر رجال الموسيقى من جميع اقطار الارض لاحياء الحفلات الموسيقية . سمعت هناك فرانز لوهار المؤلف الموسيقى المجرى على رأس فرقة موسيقية عظيمة وشاهدت فرقة كورت جوس للرقص الكلاسيكى فى شتاء عام ١٩٣٤ وقد اعجب الباريسيون بتلك الفرقة أيما اعجاب لذلك كان يأتى الى حفلاتها ألوف المستمعين

ومراقص باريس كثيرة وروادها اكثر ففى مونمارتر الكوليزيوم به شبان وفتيات يتقنون الرقص ويجعلونه مهنتهم ويسمعون حينذاك يرقصون مع من تدعونهم من الفتيات والنساء مقابل فرنك ونصف لكل دور وكذلك تلقى فتيات على قسط كبير من السحر والجمال والرشاقة يرقصن مع الراغبين من الشبان والرجال والبولنوار والكانكان وصليب الجنون والشانوار (القطة السوداء) ثم السماء والنار التى لا يفد الى باريس دون أن يذهب اليها وهى طريفة باغانيها وثياب الجرسونات .ها يظهرون فى ثياب تمثل الملائكة والشياطين و بعض الحيوانات

ليس أكثر من قهاوى باريس فالشوارع الصغيرة لا تخلو منها وامتلأت بها الشوارع الكبيرة كنت اتردد احيانا على قهاوى بولفار سان مشيل الديبونت والسورس والداركور والكابولاد ويلذ للمرء ان يجلس على احدي الموائد الموضوعة امام المقهى ويستعرض مئات المناظر المتجددة هذه الفتاة الجميلة بائعة الخبز فى ثوبها الابيض الناصع تحمل سلة الخبز الى المنازل وموزعى الاعلانات يسمونهم « الرجال الساندويتش » يحملون فوق ظهورهم الواحا من الخشب كتب عليها بالخط العريض اسم المطعم أو دار السينما أو الفندق أو المتجر أو صالون الحلاقة الذى يعلن عنه اصحابه .... ثم هؤلاء التجار من بلاد المغرب من سكان تونس والجزائر ومراكش يرتدون ثيابا قذرة ويعرضون على المارة والجالسين على المقاهى ما يحملون على اكتافهم من سجاجيد وصور وحقائب من الجلد وكلها مصنوعة فى بلادهم ويبيعونها باثمان رخيصة بعد المساومة .

كنا ندعوهم احيانا ونتحدث اليهم باللغة العربية علهم يفهموننا أو علنا نفهم بعضا من

حديثهم و لكن عبثا حاولنا اذ كانت لهجتهم العربية بعيدة كل البعد عن لهجتنـا المصريـة

وتمر امام عينيك جموع الطلبة ينشدون اناشيد الشباب الجامعي أو الاناشيد السياسية . ينتمي عدد كبير منهم الى حزب « الاكسيون فرانسيز » وجماعة (الصليب النارى) وهذه الاخيرة تشبه جماعات القمصان الزرقاء عندنا و هم متعصبون لوطنيتهم ويبغضون من الطلبة الاجانب من يرغب ممارسة مهنته فى فرنسا بعد انتهاء دراسته واطلقوا على هؤلاء خاصة وقدميتيك قام الطلبة الفرنسيون بمظاهرات كبيرة اشترك فيها الالوف اعلنوا فيها الاضراب عن تلقي دروسهم وسخطهم على الطلبة الاجانب وقام على أثر طلبة جامعة السربون وطلبة الجامعات الفرنسية الاخرى بمظاهرات واضرابات شدا لازر زملائهم فى باريس وحملت الصحف حملة شعواء على تساهل الحكومة مع اولئك الطلبة الاجانب الذين تسمح لهم بمزاولة اعمالهم فى فرنسا ومزاحمة ابنائها . فاستمعت الحكومة الى شكواهم ووضعت من القوانين الصارمة ما أطمأنت له نفوس الطلبة واخلدوا ثانية الى السكون

كان الطلبة الفرنسيين على حق فى شكواهم اذ تجد فى باريس وحدها مئات من الاطباء والمهندسين والمحامين من الاجانب واكثرهم من الرومانيين واليهود والطليان يعيشون فى بسطة من العيش بينما الشـاب الفرنسى المتخرج من احدي الكليات يجد من هؤلاء الاجانب منافسة شديدة خطرة

أذكر هنا شيئا عن خفايا باريس وأغلبها وراء الباستيل وحول شارع (دى لاب) اذا مررت فى هذا الطريق و جدت على الجانبين مراقص وحانات اكثر المترددين عليها من بنات القهاوى ومن شبان متأنقين فى ملابسهم وفى العناية بمظاهرهم . لهم اكتاف عريضة وأجسام قوية يسمونهم لى جادى ميليه يقابله عنـدنا اسم (البلطجية) وتسمي هذه المراقص (بال ميزيت) تعزف فيها موسيقى التانجو والفالس والجافا . ويجمع قبل كل دور موسيقى جديد خمسة وعشرون سنتيما أى ثلاث مليمات ممن يريد الرقص مع احدى فتيات تلك الحانة

ويلقاك بعض البلطجية فى الطريق فيقترب منك ويدعوك الى زيارة أحدى الحانات الخفية اذا ما قابلت دعوته سار بك فى طرق ملتوية وضيقة مظلمة حتى يقف بك أمام منزل تظنه فى أول وهلة مهجورا سدت ابوابه ونوافذ الدور الارضى منه بالالواح الخشبية يلتفت عند ذلك الى نافذة فى لدور العلوى ويصفر بفمه صفيرا معينا تفتح على أثره هذه النافذة فتلمح نورا ضئيلا ورأس امرأة

تشرف عليك منها . وبعد أن يتبادلا حديثا قصيرا تبعث الينا من النافذة بسلم خشبي نصعد عليه لاكتشاف خفايا هذا البيت الغريب . سارت بنا تلك المرأة من غرفة الى غرفة حتى وصلنا أخيرا الى مقصورة لانوافذ بها على الاطلاق وامتلأت بالدخان ورائحة الخمور التى تكاد تخنقك . وتدهش اذ ترى هذا الجمع من السكارى نساء ورجال ويذهلك ماتراه من مناظر تمجها النفس ويأباها الذوق السليم . لايتصور المرء كيف وصل هؤلاء من الانحطاط فى شعورهم وأخلاقهم الى هذه الدرجة وهم الى الحيوان أقرب منهم الى الانسان . يأتى لزيارتها بعض السائحين من الاجانب وزائرى باريس من سكان الارياف ومن الجنون أن يذهب اليها الانسان بمفرده فهو يعرض نفسه الى أخطار كثيرة فلا بد من الذهاب اليها فى جماعة مكونة من عدة أشخاص

ويقوم البوليس الفرنسى بمهاجمة هذه الدور بين حين وآخر وتفتيشها ويقبضون على جميع المترددين عليها ويرسلون بهم الى دار البوليس العامة فى السيتيه وهناك يطلقون سراح من يثبت شخصيته بابراز جواز السفر أو كارت تحقيق الشخصية أو كارت العمل وتعاقب المتشردين والمشبوهين عقابا صارما وتسعى جهدها لتطهير باريس من هؤلاء الاشرار الذين لاعمل لهم الا العبث بالأمن والاجرام ونشر الرذيلة والفساد . يسألوننى هل رأيت الفولى بيرجير وشاهدت فيها مستنجيت الغادة الراقصة الهيفاء التى لاتزال فى ريعان شبابها اذا رأيتها عن بعد ومستنجيت التى تلعب بقلوب شبان ورجال فى مقتبل العمر يقدمون اليها باقات الزهور والورود والهدايا الفاخرة التى لا تقل قيمتها عن مئات الجنيهات . مستنجيت التى يهرع الى سماعها الباريسيون وغيرهم من سكان الاقاليم يأتون خصيصا الى باريس لرؤيتها . وهى سيدة فى الخامسة والستين من عمرها ولاتزال محتفظة بنضارة الصبا وبابتسامتها العذبة وتدهشك برقصات الفنى الجميل وصوتها الجهوري الذى تهتز له ارجاء المسرح

تبدو لك على المسرح فى حديقة ذات أشجار فى كل غصن من أغصانها فتاة تكاد تكون عارية من الملابس وتتفتح كل زهرة من أزهارها عن وجه فاتنة كذلك بحيراتها ونافوراتها . منظرا يأخذ بمجامع القلوب ويذكرك بأن فى العالم كله باريس واحدة انفردت بهذه الروح الفنية الرائعة وهذا الجمال الفتان . وفى الطابق الارضى من الفولى بير جير رأيت مرقصا شرقيا تعرض فيه فتيات من بلاد المغرب رقصات البطن ويجذب اليه كثيرا من رواد الفولى بير جير بعد انتهاء حفلاته وترى جوزفين بيكر أو موريس شفاليه فى كازينو دى بارى أو تقضى سهرتك فى سيرك ديفير أو فى أعياد مونمارتر أو أعياد مونبارناس اوسباستبول أو السوق العام أو الجراند بولفار أو الحى اللاتينى وهذه الاعياد تستمر ليلا نهارا فى أحد تلك الاحياء أسبوعا أو أسبوعين أو شهرا كاملا

لاتلبث أن تنتهي حتى تبدأ أعياد حى باريس آخر . وتشاهد الاكشاك الخشبية وضعت الى جانب بعضها على قارعتى الطريق وحوت جميع أنواع اللهو والتسليه ولونابارك صغير وسيرك وملاعب وفى استطاعتك أن تقضى فى هذه الاعياد الشعبية البهيجة سهرة من أحسن السهرات وأبسطها مقابل بضعة فرنكات .

وهناك منظر ليلى فى باريس جدير بالذكر وهو سوقها العام « الهال سنترال » بين شارع ريفولى ونهر السين ويطلقون عليه اسم « بطن باريس » أو « معدة باريس » لأن هذه السوق تمد باريس وسكانهم بماهم فى حاجة اليه من الاغذية ترى السيارات الكبيرة المحملة بصنوف الخضروات والفواكه والالبان واللحوم تأتى الى هذه السوق من ضواحى باريس ومدن الاقاليم يضعونها فى أكوام عالية وسط الطريق وعلى الارصفة وقد امتلأت بها هذه السوق الهائلة بمخازنها وأفنيتها المغطاة بسقوف من الزجاج اتقاء المطر وتستمر هذه الحركة وهذا النشاط من الساعة الحادية عشرة مساء حتى الساعة التاسعة صباحا فتختفى كل هذه التلال من الخضروات وسلال الفواكه اذ توزع على أسواق أحياء باريس المختلفة وعلى متاجرها وتأتى كثير من ربات المنازل عند الفجر اليها لشراء مايحتجن اليه بأثمان الجملة . وتجد فى هذا الحى كثير من المطاعم الصغيرة التى لاتفتح الا بالليل لزبائنها من عمال السوق وتجاره وسائقى السيارات وتقدم لهم الوانا من الطعام يجيدون صنعها كشوربة البصل مع الجبن أو البطاطس المقلى مع السجق يأتى اليها كثير من زبائن آخر الليل من الاغنياء بعد سهراتهم فى المراقص او الحانات

من باريس الى لندن

غادرت باريس الساعة الثامنة ونصف مساءاً من محطة سان لازار فى القطار السريع الذى يصل ميناء دييب قرب الساعة الحاديه عشره ويقف بنا أمام الباخره نيوهافن ولا يستغرق التاشير على جوازات السفر سوى بضع دقائق صعدنا بعدها إلى الباخرة ويدخل بعض المسافرين إلى مخادعهم للنوم حتى لا يشعروا بدوار البحر وهو كثير فى القنال الانجليزى لاضطراب أمواجه ويبقى البعض فى الصالون للتدخين وقد كان سفرا لذيذا . قامت بنا الباخرة (نيوهافن) فى منتصف الليل تماما فوصلنا ميناء نيوهافن فى انجلترا الساعه الخامسه صباحا ووجدنا من نظام العمل فى جمرك الميناء ما نال إعجابنا فلم يستغرق التفتيش على الأمتعة وجوازات السفر اكثر من بضع دقائق . وكان فى انتظارنا القطار المسافر الى لندن عرباته فخمه أعدت بها وسائل الراحة للمسافرين من مقاعد وثيرة وموائد يمكن للمسافر أن يتناول عليها طعام الافطار وفى كل عربه خادم يشرف على تقديم ما يحتاجون اليه من الطعام أو الشراب وهذا كله فى عربات الدرجه الثالثه

وعند ما وصل القطار الى محطة فيكتوريا فى لندن أسرع الحمالون فى رفق مؤدب الى العربات لحمل أمتعة المسافرين ولا تراهم مثل إخوانهم من الحمالين فى الاسكندريه أو مارسليا يتراكضون ويصيحون وربما أدي تنافس اثنين منهم على أمتعة مسافر الى الضرب والعراك بل تجد أمامك رجالا فى غاية الأدب والهدوء وقد قادنى الحمال الذي عهدت اليه بحمل أمتعتى الى إحدي عربات التاكسى ذهب بى الى الفندق الذى اعتزمت الاقامه به فى لندن فى حى ليفربول لا يبعد كثيرا عن أحياء البنك والبوستة اكثر احياء لندن حركة ونشاطاً

كانت رغبتى الاقامة فى لندن للدراسه بجامعتها ولكننى نضيت أمدا ليس بالقصير حاولت الالتحاق باحدي كلياتها الطبيه فلم أظفر ببغيتى إذ كانت جميعها مزدحمة بالطلاب ولا مفر من الانتظار عاماً كاملا إذا رغبت فى الدراسه فى احدى جامعات انجلترا

وقد أتيح لى فى خلال المدة التى قضيتها فى لندن من مشاهدة بعض متاحفها وحدائقها ومعارضها ولمست شيئا من أخلاق أهلها وطبائعهم

ليس أعجب من قطارات المترو التى تسير فى أنفاق تحت الأرض الى جميع جهات المدينة والى الضواحى المجاورة لها تحمل الجموع المتدفقه الى جميع الانحاء وقد أقامت الحكومه آلات أوتوماتيكيه يضع فيها قطعة من النقود تساوي بنساً أو بنسين أو اكثر بحسب مقدار المسافه التى

يريد ان يقطعها فتبرز له التذكرة فى الحال وهذا الازدحام الهائل فى بعض ساعات النهار الذى لا يسمح لعمال صرف التذاكر مهما كان عددهم فى المحطة الواحدة ان يقوموا به على الوجه الاكمل أمام هذه الجموع الزاخرة من المسافرين وتجد فى كل عربة من قطارات المترو رسما يبين خط سيره والمحطات التى يقف عليها أو يستطيع فيها ان يغير هذا القطار بقطار آخر يسير فى اتجاه غير اتجاه الاول وقد كتب فى جميع المحطات اسماؤها بالخط العريض ووضعت الاشارات المضيئة التى تسهل على الراكب معرفة القطار الذى يسير به الى المكان الذى يقصده

دار البرلمان والمتحف البريطاني

برلمان انجلترا . حيث يجمع نوابها ولوردانها منذ أكثر من سبعمائة عام ولا يزال محتفظا برونقه وعظمته وتبلغ مســاحة الارض التى بنى عليها نحو عشرة افدنة وقد ازدانت وجهته التى تشرف على نهر التيمس بتماثيل ملوك انجلترا منذ وليام الفاتح الى الملكة فيكتوريا ويعلو بناءه الشاهق ثلاثة ابراج كبيرة برج الساعة وفيكتوريا والبرج الاوسط . ونصب أمام الباب الرئيسى تمثال كروموبل وفى استطـــاعتك زيارته ودخول قاعة جلساته . تزين قاعته وممراته الصور التاريخية الرائعة والتماثيل البديعه لعظماء الانجليز الذين خدموا وطنهم

والى جانبه كنيسة وستمنستر التى يدفن فيها ملوك انجلترا وملكاتها وعظماؤها وقادتها وفطاحل شعرائها وكتابها وانبغ علمائها ومكتشفيها من أجل كنائس لندن ويحتفل الانجليز فى هذه الكنيسة نفسها بتتويج ملوكهم وقد شهدت هذه الكنيسة منذ اسابيع قليلة تتويج الملك جورج السادس كانت من اروع المهرجانات التى شهدتها انجلترا

زرت فى أثناء اقامتى بلندن برج المدينة وقلعتها التاريخية وبه متحفا عرضوا فيها تيجان ملوك انجلترا وجواهرهم وثيابهم الرسمية وسيوفهم

وقصر عمـدة المدينة « ما نشون هاوس » يجذب اليه السـائحين كما يجذبهم قصر فرساى فى باريس . يشغل عمدة لندن جناحا كبيرا من هذا القصر وتشغل دار المحكـمة سجن المتهمين القسم الثانى منه

واكبر قاعات هذا القصر العظيم القاعة المصرية وتقام فيها الحفلات والمآدب الرسمية الكبرى التى يدعى اليهـا الملوك و الامراء و النبلاء والوزراء وتسع اربعمائة من المدعوين . اقيمت فى جوانبها تماثيل من الرخام الابيض الناصع اكثرها لملوك انجلترا السابقين وبالقاعة نافذتين كبيرتين نقش على زجاجهما صورا تمثل احداها ملك انجلترا يوقع الماجناكارتا والاخرى حفلة تتويج الملكة اليصابات ولا يفصل بين بيت العمدة وقاعة الجلسات فى المحكمة سوى باب صغير وفى الدور الاسفل من القصر سجن للمجرمين يتصل بقاعة المحاكمة بواسطة درج مظلم

وشاهدت فى زيارة سريعة لمعرض الصور الوطنى كثيرا من اللوحات الفنية الخالدة لفانديك وروفائيل ورمبراندت والدخول الى هذا المعرض وغيره من معارض لندن ومتاحفها ومكتباتها مباح

للجمهور وذلك لرغبة الحكومة فى تثقيف الامة مما يرفع من شأنها وشأنهم ويسير بها دائما فى طريق العظمة والمجد

أما المتحف البريطانى فيحتوى على أكبر مجموعة من الآثار القديمة والكتب والمخطوطات فاق بذلك متحف اللوفر فى باريس

الى يمين الداخل الى المتحف قاعة جرانفيل وبها الوف المخطوطات النفيسة وخطابات أثرية لبعض كبار المؤلفين والسياسيين والشعراء الانجليز والصك التاريخى المشهور باسم «الماجناكارتا» و نسخة عربية ثمينة من القرآن الكريم مكتوبة بماء الذهب وأقدم نسخة من التوراة وجدت فى العالم وقد عثروا عليها فى صحراء سينا

وقد جعلوا قسما منه للآثار المصرية فى المتحف شاهدت فيها كثيرا من آيات الفن المصري القديم وأهم مايلفت النظر حجر رشيد الذى كان المفتاح لفك رموز اللغة الهيروغليفية استطاع بواسطتها علماء الآثار من قراءة كتابات آبائنا واجدادنا الاولين على آثارهم ومعابدهم

وتوجد قاعة للمطالعة فى الدور الارضى من البناء على شكل دائره تسع أكثر من سبعمائة قارىء ويبلغ عدد الكتب الموجودة بها مايربو على ثلاثة ملايين فلا يصدر كتاب واحد فى انجلترا دون أن ترد نسخة واحدة منه على الاقل الى المكتبة والانجليزى محب للعلم والبحث الى جانب حبه للرياضة يتردد على هذه المكتبة وغيرها للقراءة والبحث ولا يخلو منزله من مكتبة حافلة بمختلف أصناف الكتب العلمية والادبية والاجتماعية والتاريخية والقصصية والرياضية وتوجد صالات عامة فى أغلب انحاء المدينة مفتوحة للجميع وبها عشرات الجرائد اليومية والاسبوعية وهى لا تخلو من روادها ساعة من ساعات النهار كما لا تخلو منهم قاعة المطالعة فى مكتبة المتحف والجيلد هول وسان مادتان وتقوم أشهر مكاتب لندن ودور النشر بها بعرض كتبها على موائد نسقت تنسيقا جميلا رأيت بعضا من روادها يجلسون الى تلك الموائد يقرأون فصولا كاملة من كتبها ويقدم لهم أصحاب المكاتب التسهيلات العظيمة باعادة الكتب لقاء أجر زهيد وانشأت كبريات الصحف مثل التيمس والمورننج بوست قاعات حديثة البناء لقراءة الكتب والصحف وأعدت فيها المقاعد المريحة والموائد والمصابيح الكهربائية القوية وجعلوا قسما منها لشراء الكتب القديمة وبيعها أو اعادتها فى الخارج. ترى من ذلك كيف اجتمعت جهودهم لنشر العلم والثقافة بين جميع طبقات الشعب

ولكن الانجليزي كما يقول بأكون ليس بالرجل الذى يقنع من العلوم باستيعابها ومعرفتها بل هو رجل عملى يقرأ ويبحث ليطبق هذه المعارف التى اكتسبها من قراءة الكتب تطبيقا عمليا وهو يعتمد فقط بالنتائج والفوائد التى يجنيها من أعماله وهو يطرق جميع السبل للوصول اليها

والمدارس الانجليزية على سائر درجاتها لاتهتم كثيرا بتعليم الطالب العلوم وحشو ذهنه بالمعارف النظرية العقيمة بل تجد ذلك فى المرتبة الثانية من اهتمامها وهى تلتفت خاصة الى تهذيب أخلاقهم كى تجعل منهم رجالا عمليين تعلمهم الاستقلال الذاتى منذ نعومة اظفارهم فيكبرون ويصبحوا رجالا قادرين على الاعتماد على أنفسهم اذا ماطرقوا ميدان الحياة العملية يشقون طريقهم وقد جعلوا سلاحهم الاخلاق المتينة والثقة بالنفس والثبات والصبر والنشاط . ومن كان هذا ديدنه فالنجاح حليفة والمستقبل مبتسم له لامحالة

الحياة فى لندن

لندن من أعظم مدن الأرض وأكبرها ولكنها ليست أجملها وأكثرها سحرا فهاتان الصفتان قد اختصت بهما باريس بلد السحر والفن والجمال .... أما هنا فكل شيء عظيم . طرق واسعة وحركة تجارية كبيرة لا مثيل لها ومبان فخمة وميادين هائلة وميناء على نهر التيمس ذات أهمية تجارية كبيرة

كنت أسير أحيانا على رصيف هذا النهر وهو من أعظم شوارع المدينة اتساعا وأكثرها جمالا غرست الأشجار على جانبيه ونصبت فيه مسلة كليوباطرة وبه الفنادق الفخمة والعمارات الشاهقة وكثيرا ما قضيت الساعات فى ميناء التيمس أنظر إلى هذه السوق العالمية الهائلة وهذه السفن المرصوصة الى جانب بعضها تحمل اليها من مستعمراتها الشاي والكاوتشوك والمحصولات الزراعية ثم تعود إلى أنحاء العالم المختلفة تحمل أكبر كمية من البضائع التى تصدرها دولة فى العالم

وترى حذاء ضفاف التيمس مئات البنوك الصغيرة التى تقوم باقراض النقود وتغيير عملات الدول الأجنبية وأكثر هؤلاء من اليهود فهذه هى صناعتهم التى تدر عليهم الأرباح الوفيرة أينما هبطوا وفى أى بلاد استقر بهم المقام

وإذا نظرت إلى سكان لندن وجدت أغلبهم من أهل الريف تضطرهم أعمالهم ووظائفهم إلى سكنى لندن ينتظرون عطلة اخر الاسبوع للعودة الى حياة الريف الانجليزية البديعة وخصوصا فى ضواحى لندن الجنوبية ببساتينها النضرة وفيلاتها الصغيرة الهادئة من ابدع ما تراه العين . لذلك يذهبون اليها فرحين وينعمون بحياة الريف اللذيذة بعيدا عن ضوضاء المدن وجوها المعتم وهوائها الفاسد إذا ما سمحت لهم عطلاتهم بذلك . والحركة فى شوارع لندن لا تنقطع فهذه مثلا شوارع فيكتوريا وستراند واكسفورد لا ينقطع سيل السيارات وعربات الترام والاوتوبيس وجموع الناس تسير مسرعة إلى أعمالها وترى النساء يترددن كثيرا على طريق أكسفورد ستريت ردجنت وبها محلات الازياء وملابس السيدات والمحلات التجارية تجد فى المتجر الواحد كل مايحتاجه المرء من أثاث وطعام ولباس

هذه جاليرى لا فاييت صورة مصغرة لمتاجر جاليرى لا فاييت ببولفار هوسمان فى باريس

تراه مزدحما بنساء وفتيات الطبقة الارستقراطية لشراء أحدث ما أخرجته باريس من الازياء

وفى نهاية ديجنت ستريت بوابة « الماربل ادش » تدخل منه إلى هايد بارك أكبر حدائق لندن وبها أشجار عالية تغطى مساحة كبيرة من الارض وطرق طويلة للمتنزهين وأخرى لراكبى الخيل والسيارات والعربات وفى الطرف الثانى للحديقة بحيرة « السرينتين » يستأجر فيها محبو التجذيف القوارب الصغيرة وهذه البحيرة تفصل هايد بارك عن حدائق كنسنجتن الملاصقة بها تماما ومن أطرف ما رأيت فى حدائق هايد بارك فى يوم أحد ذهبت إلى النزهة فيها بعد أن تناولت طعام الغداء فى الـ A. B. C الخطباء والواعظين أعدت لهم المنابر لالقاء الخطب الدينية والسياسية ويطرقون جميع المواضيع فى خطبهم . هذا ضابط فى جيش الخلاص فوق المنبر بملابسه العسكرية الخاصة بالجيش وعلى ذراعه شريطين حمراوين يدل على أنه حائز على درجه كابتن وإلى جانبه ضابطان آخران وبعض الجنود وهم الاعضاء المستمعون ولكل منهم اشارات خاصة . وقف يلقى علينا ذلك الضابط عظة طويلة هى اعتراف كامل بأخطائه فى الماضى فهو يروى لك قصة حياته بالتطويل والمعاصى أو الجرائم التى ارتكبها أو إذا كان من المدمنين على الخمر أو المخدرات . كل من ضباط هذا الجيش وجنوده وأتباعه له قصة حياة من واجبه أن يأتى بتفصيلاتها علنا وكيف استطاع أخيرا الاهتداء إلى طريق الله القويم وتكاد تكون لهجتهم واحدة فتسمعهم يبدأون حديثهم : انى سعيد جدا وفرح وكل حياتى . نور وضياء و .... وجيش الخلاص هو مؤسسه دينية بروتستانتية أنشأها وليام بوث منذ نحو سبعين عام فى لندن وهى الآن فى أكثر من ست وثمانين دوله . وجيش الخلاص منظم تنظيما عسكريا خاصا فى جميع هذه الدول وله مدارس حربية خاصة تقوم بتدريب طلبتها على التبشير أو الادارة أو الاشراف على أحد ملاجئه التى ينشئها للفقراء فى كل مدينة يستقر بها وله فى لندن ملاجىء ومطاعم للفقراء تسع أكثر من ألف فقير وعاطل ويقوم على رأس الجيش سيدة عظيمة وخطيبة بارعة الجنرالة بوث ابنة مؤسس الجيش تدير من مكتبها فى لندن ألوف الملاجىء والمطاعم ومئات الألوف من الضباط والملايين من الجنود المدربين على الجهاد ليس فى ميادين القتال فهذا ليس بعيدانهم بل تراهم يواسون المرضى والبؤساء ويعطفون على الفقراء ويعملون ما فى وسعهم للتخفيف عنهم فيفتحون لهم أبواب ملاجئهم ويرحبون بهم ويبحثون لهم عن أعمال تناسبهم ويلقوا عليهم المواعظ الدينية والاخلاقية والثقافية ويدعونهم إلى مادب كبيرة فى يوم عيد الميلاد فيقدمون لهم طعاما شهيا فاخرا و برنامجا حافلا من الادوات الموسيقية والتمثيلية ويخرجون وسط الليل إلى الطرقات المظلمة الباردة يبحثون عمن لا ملجأ لهم ويذهبون بهم إلى مؤسساتهم الخيرية . تراهم فى أيام الآحاد يخرجون فى جماعات إلى الشوارع حاملين

أعلامهم وتتقدمهم فرقاتهم الموسيقية ويسيرون إلى الميادين المتسعة فينشدون الترانيم الدينية ويدعون المارة إلى الاستماع اليهم ويلتف حولهم أحيانا جمهور غفير من الناس جاء يستمع الى صلواتهم ومواعظهم على قارعة الطريق وقد لاحظت ان عدد الضباط والجنود فى جيش الخلاص من النساء والفتيات أكثر من عدد الرجال ويقمن بعملهن خير قيام

والي جانب ضابط جيش الخلاص فى هايدبارك خطيب آخر من رجال الكنيسة الكاثوليكية يدحض اراء جيش الخلاص وعقائده وينتقد أساليبه ويدافع عن عقيدته ويدعو الى كنيسته وبالقرب من هذين خطيب ثالث من حزب العمال ورابع من المحافظين وخطباء شيوعيين وفاشستيين وغيرهم أحاطت بهم جموع المستمعين يصغون الى تلك الخطب بانتباه شديد ويقاطعونها أحيانا بالصياح والفاظ الانتقاد والاعتراض على اقوالهم وكثيرا ماتدور بينهم المناقشات الحادة تنتهي أحيانا بالوصول الى اقتناع الطرفين وربما احتاج الامر الى تدخل رجل البوليس وأمره مطاع وكلمته محترمة بينهم وفى ركن من أركان الحديقة مقبرة للكلاب والانجليز يحبون الكلاب حبا جما بل جميع الحيوانات الاليفة ويعطفون عليها واذا مات للانجليزى كلب عزيز عليه أقام له مقبرة خاصة كتب عليها اسم الكلب الفقيد ووضع عليها باقات الزهور كلما مر بقبر كلبه العزيز

ومن حدائق لندن الكبيرة غير حدائق هايدبارك وكنسنجتن حديقة سان جيمس بارك وهو قصر قديم البناء وكان يقيم فيه ادوار الثامن ملك انجلترا السابق أيام كان وليا للعهد وهذا القصر على مقربة من قصر بكنجهام حيث يقيم ملك انجلترا وملكتها

وفى حديقة سان جيمس متحف لندن ترى به تاريخ الازياء وملابس الانجليز فى العصور القديمة وملابس ملوكهم وامرائهم واشرافهم منذ تلك العصور حتى عهد الملك جورج الخامس اذ توضع به الثياب الملكية التى يرتديها ملك انجلترا وملكتها فى حفلات تتويجهما

وبالمتحف قسم كبير يحتوى على غرف وضع بها الاثاث القديم وهى نماذج طبق الاصل من البيوت الانجليزية فى الاحقاب الماضية ومناظر تمثل لندن قبل الحريق الهائل الذى منيت به وبعده وبالقرب من هذه القصور والحدائق الملكية يقع ميدان الطرف الاغر «ترافالجار سكوير» أطلق عليه هذا الاسم تذكارا لانتصار نلسن بموقعة الطرف الاغر وبوسط الميدان عمود هائل من الجرانيت نصب فى أعلى قمته تمثال نلسن صنع هذا التمثال من أحد المدافع الفرنسية التى حصل عليها الانجليز من الفرنسيين أثناء تلك الموقعة وكتبوا عند أسفل العمود كلمات نلسن الاخيرة «ان انجلترا تنتظر من كل رجل منكم أن يؤدى واجبه» والحى الشرقى من لندن المسمى

«هوايت شابل» هو حى العمال والفقراء ترى به كثيرا من الشوارع القذرة الضيقة وعدد كبير من سكان هذا الحى وأصحاب المتاجر فيه من الارمن والطليان واليهود يخيل اليك اذا شاهدت مساكنهم وحوانيتهم أو تأملت الى ملابسهم أو وقفت على حياتهم انك فى احدى قرى الشرق الصغيرة وتقاسى لندن كغيرها من البلاد والاقطار كثرة العاطلين بها وقد سعت الحكومة جهدها لتخفيف نتائج الضائقة المالية فأوجدت المشاريع الكبيرة ولكنها لم تصل بعد الى ايجاد العمل الكافى لجميع عمالها العاطلين التى تقدم لهم اعانات شهرية قدرها خمسة عشر شلنا لكل عاطل وأمنت على عمالها ضد المرض والبطالة وجعلت لها قوانين وشروط منها أنه لايحق لعامل أن تتناول هذه الاعانه مالم يثبت انه قد اشتغل خمس سنوات فى احدى المصانع أو الشركات وهى يتناول من العامل شلنا واحدا فى الشهر وتأخذ من صاحب العمل مثل ذلك وتضيف اليها الحكومة من خزائنها شلنا ثالثا فى الشهر فاذا استغنى عنه المصنع ولم ينقطع هو بنفسه عن العمل كان له الحق فى هذه الاعانة وتقوم الحكومة فى البحث عن عمل آخر له . وهناك تامين آخر ضد المرض والشيخوخة وتتناول الحكومة من جميع سكانها ضريبتان هما ضريبة الدخل وهى عشرة فى المائه ثم ضريبة الوفاة وضريبة الوراثه

لندره فى الليل

بيكاديللى فى الليل تشبه مونمارتر فى باريس وتمتد احياء اللهو بها من ميدان بيكاديللى الى ميدان ليستر وسوهو . ترى دور التمثيل والصور المتحركة والمطاعم والاندية قد اضيئت بالانوار الكهربائية المتألقة الجذابة وتجد هنا كثيرا من المكاتب التى تبيع الكتب والصحف والمجلات الانجليزية المحلية والاجنبية ثم المطـــاعم الصغيرة والمقاهى واكثرها فى يد الاجانب ومتاجر لبيع الاثاث القديم والصور والتحف

ومشارب الشاي كثيرة فى حى البيكاديللى وغيره وهو شراب الانجليز المحبوب يتناولونه فى جميع وجبات طعامهم وخاصة عند الساعة الخامسة بعد الظهر

وطريق ويندميل ستريت مملوء بالاندية وهى تشبه كباريهات باريس بعض الشبه يغشاها محبو اللهو والطرب وتجد بها كثيرا من العائلات الشريفة تقضى فيها بضع ساعات وهم فى لباس السهرة من ثياب طويلة للنساء وسموكنج وفراك للرجال ولا سبيل الى شاب غريب أن يدعو فتاة احدى العائلات الى الرقص معها اذا كان لا يعرفها من قبل . وللانجليز من التقاليد والعادات فى حياتهم الخاصة ومجتماعاتهم مالا تراه عند غيرهم من الامم

وهم مولعون بالتمثيل والسينما فاذا ذهبت متأخرا بضع دقائق لم تجد بها مقعدا خاليا وقد تضطر احيانا الى مشاهدة رواية تمثيلية أن تشترى تذكرتك لبعد اسبوع حتى تجد مكانا خاليا وربما كانت تلك الرواية تمثل عدة مرات كل يوم

وقصر (الكودنر هاوس) الكبير فى حى « البيكاديللي سيركاس » أعد الطابق الارضى منه لبيع الزهور و الفواكـه والاطعمة وانواع اللحوم وفى الطبقات العليا منه صالونات أنيقة صفت فيها الموائد والمقاعد حول حلقات الرقص وجوقات الموسيقى التى تتألف من الرجال والنساء . تأتى اليه العائلات لتناول الشاى أو العشاء والجرسونات هنا من الفتيات ذوات الرشاقة والجمال يضعن فوق رؤوسهن قبعات من الدنتلة البيضاء

وأنشأت شركة (ليونس) العالمية للشاي دورا على غرار هـذه فى شارع دبخنت ستريت والبيكاديللى وتعزف الموسيقى فى صالوناتها كل مساء حتى منتصف الليل

وقفت فى أثناء إقامتى فى لندن على كثير من نواحى أخلاق الانجليز وطبائهم وعاداتهم ويمكننا أن نعتبر الانجليزى الجنتلمان مثلا أعلى للأخلاق

أعجبنى من الانجليز ميلهم إلى تقدير حاسة حسن التصرف التى على تصريف شؤوننا لا بحسب المنطق والنظريات بل بحسب نتائجها العملية . يسخرون من المنطق ولا يقيدون أنفسهم بقواعد ثابتة يسيرون على مقتضاها ولكنهم يبحثون باستمرار ويقومون بالتجارب الجديدة لا يهتمون كثيرا ولا يجزعون إذا باءت بالفشل بل هم يعلمون أن هذه التجارب التى هى نوع من المخاطرة تعود عليهم أخيرا بأعظم الفوائد وأجلها

ويقدس الرجل الانجليزى النظام تراه فى بيته وفى أعماله وفى علاقاته مع الآخرين محبا للنظام ومحتقر من خرج على الأنظمة الموضوعة والتقاليد ويسخر منه . كذلك لضبط النفس مقام رفيع فى نفوسهم ويروا أن الرجل الذي يرغب فى النجاح والتقدم فى حياته يجب أن يسيطر على جسمه وعقله وأن يكون حاكما قويا لعواطفه واهوائه

والحرية الشخصية فى انجلترا مكفولة للجميع ولكنها حرية لا تتعارض مع النظام أو الأمن فهو يعرف كيف يحسن استعمالها وتشعر باثار هذه الحرية فى حديثه ومبادئه السياسية وارائه

يقدرون الأخلاق فوق كل تقدير فالرجل المهذب عندهم خير من رجل مثقف بالعلوم والمعارف نال أعلى الدرجات العلمية ولا اخلاق له .

ويميل الانجليز إلى البساطة فى مأكلهم ومشربهم وفى سائر أحوال معيشتهم . ويحبون التواضع ولكن فى غير ضعف أو خور فى العزيمة فأحقر ما يحتقره الانجليزي الرجل الضعيف الذى لا إرادة له والرجل المغبون الذى لا يدافع عن حريته ودفع الظلم عن كاهله

الانجليزي رجل يحب القوة والجراءة . يحب المغامرة والاقدام فى سبيل بلاده أو طلبا للرزق يغادر وطنه إلى الأقطار النائية وربما كان ذلك فى جزيرة صغيرة وسط أقوام متوحشون . يعيش بين أهلها مشتغلا بتجارة أو صناعة وهو لا يندب حظه لهذه الحياة الشاقة المنعزلة عن العالم مثل ذلك اللبنانى الذى سافر إلى البرازيل فى تجارة ربما اضطرته إلى البقاء بضعة أعوام رأيت مشهد سفره فى ميناء بيروت أشبه بمأتم منه بتوديع مسافر .

وحبهم للرياضة معروف وترى الانجليزى رجلا كان أو امرأة يتقن نوعا أو أكثر من أنواعها وتجعل منهم رجالا أقوياء موفوري الصحة ولها أكبر الأثر فى تكوين أخلاقهم وهم مولعون على الاخص بالسباحة ولعب كرة القدم والتينس والجولف والرجبى وركوب الخيل وتزدحم ساحات اللعب بمئات الالوف من المتفرجين عند إقامة المباريات الرياضية يهرعون

اليها من كل حدب وصوب ومن جميع طبقات الامة ترى بينهم الامراء والوزراء والموردات كما ترى ألوف الموظفين الصغار والعمال والتجار ويتجشم البعض أحيانا عناء السفر للوصول الى ما يقام من المباريات الهامة كسباق دربى وحفلات لعب كرة القدم الدولية ومباراة التجذيف التى تجرى كل عام بين فريقى اكسفورد وكامبردج

جامعات انجلترا من أرقى جامعات العالم وأرفعها شأنا لذلك تزدحم بالطلاب الانجليز وبألوف غيرهم من الطلاب الاجانب يأتون اليها من جميع أنحاء المسكونة حتى أنها تضطر الى رفض كثير من راغبى الالتحاق بها من الطلبة فينتظر هؤلاء عاما كاملا أو أكثر من عام . وقد حاولت منذ وصولى فى شهر أكتوبر بالالتحاق بواحدة من الجامعات فى نيوكاسل أو جلاسجو او أدنبرة أو غيرها وخاطبها حضرة وكيل ادارة البعثات وهو مصرى يعمل لخدمة بنى جنسه ويسعى الى توفير أسباب الراحة لهم ما استطاع الى ذلك سبيلا فوق ما رأيته من رقته وأدبه الجم وكان أسفى شديدا إذ كانت جميع الاماكن بها مشغولة فنصحنى بالعودة الى فرنسا حيث كنت والالتحاق من جديد باحدى كلياتها الطبية خير من الانتظار فى لندن

رجعت إلى فرنسا ثانية عن طريق نيوهافن ديب وهو أقصر الطرق بين لندن وباريس وكان بحر المانش فى أثناء عبورنا مضطرب الامواج فذهبنا الى مخادعنا ولم ينقذنا ذلك من دوار البحر بل كنا ننظر الى السفينة الصغيرة تلعب بها الرياح والامواج الصاخبة فتضطرب معها قلوبنا وتهلع أفئدتنا ولم نكد نصدق احد عمال السفينة حين جاء ينبئنا بقرب الوصول الى دييب . وصلنا اليها منهوكى القوى وهناك قص علينا موظفو الجمرك كيف تحطمت بعض قوارب الصيد والسفن الصغيرة على الشواطىء المجاورة ضاعت فيها كثير من الارواح . فحمدنا الله على وصولنا سالمين ولم ينلنا من ثورة البحر وغضبه سوى هذا الدواء الذى لم يلبث أن تلاشت اثاره عند ما وطئت أقدامنا الاراضى الفرنسية .

تور

عدت الى باريس ولكننى لم امكث هذه المرة طويلا بل سافرت بعد بضعة ايام الى تور والتحقت بكليتها الطبية رغم تأخرى كثيرا عن بدء العام المدرسى

وتبعد تور عن باريس مائتى وثلاثين كيلو مترا يقطعها القطار السريع فى ساعتين وربع تقريبا وهى من اجمل مدن فرنسا لما يحيط بها من الحدائق الغناء وتقع فى واد غاية فى الخصوبة يجري فيه نهر اللوار والشير ويخترق نهر اللوار مدينة تور وتحف بشاطئيه شوارع ممهدة واسعة وحدائق للمتنزهين وقصور تحيط بها البساتين النضرة والغابات المترامية الاطراف يقيم فيها أهل الطبقة البورجوازية ووجلهم من الاغنياء والمترفين وانشأ فى البعض الاخر بانسيونات أعدت لسكنى كبار الزوار والسائحين

ويقسم الشارع الوطنى « الناسيونال » المدينة الى شطرين احدهما الى يمين القادم من جهة النهر وبه سوق تور العامة وهو صورة مصغرة لسوق باريس العام من حيث البناء والحركة والنشاط وبالقرب منها كنيسة سان موتان يحج اليها كل عام عشرات الالوف من جميع انحاء العالم الكاثوليكى لزيارة قبر القديس ماريان والدير الملحق بهذه الكنيسة وتقام به الصلاة ليلا ونهارا وفى الجانب الشرقى منها كنيسة « سان جيليان » من اقدم مبانى تور الاثرية قيل ان كلوفيس هو الذى امر ببنائها ثم حولت فى ايام الثورة الفرنسية الى اصطبل للخيل ولكنها أعيدت الى الصلاة والعباده فى سنة ١٨٤٣ بعد ان قاموا باصلاحات كثيره فى بنائها . وبها كثير من الصور واللوحات الاثرية النفيسة من مخلفات القرن الحادى عشر وهى تمثل جميع ادوار حياة النبي موسى وهجرته مع الاسرائيليين من مصر

وكاتدرائية تور التى لم يتموا بناءها دفعة واحدة بل استغرق ذلك ثلاثة قرون وترى بعينك ما طرأ على الفن من تغييرات فى خلال تلك الاحقاب . والشارع الوطنى ملتقى التورينى وبه اكبر محال التجارة ومقاهى « لافيل » (والكوميرس) تعزف بها جوقات موسيقية وللطلبة فى قهوة الكوميرس جانبا يجتمعون فيه وخاصه فى ليالى السبت والاحد يستمعون الى الموسيقى أو يلعبون البوكر والشطرنج وهم مغرمون بلعب البوكر غراما كبيرا فتراهم احيانا لا يتركون مقاعدهم قبل الساعة الثانية صباحا . واكثر من نصف طلبة الكلية من اليهود البولونيين

والرومانيين والالمان يدرسون فى جامعات فرنسا اذ تطردهم جامعات بلادهم أو يفضلون الهرب الى خارج بلادهم على البقـــاء فيها وسط الاضطهاد والاهانة والتعذيب من اخوانهم الطلبة ومن بعض الاساتذة واذا كان أكثرهم من الفقراء يقومون بكسب عيشهم الى طلب العلم و تسمح لهم الحكومة بذلك بعد صعوبات كبيرة فتعتبرهم من اللاجئين السياسيين وخاصة اليهود الالمان بعد حملة هتلر ضدهم ويبلغ عدد هؤلاء الطلبة اليهود فى كليـــة تور أكثر من مائة طـالب انشأوا مطعما وجمعية للطلبة الاجانب اصطبغت بالصبغة اليهودية البحتة فالطهاة والذين يقدمون الينـا الطعام ومدير المطعم والجمعية كلهم من الطلبة اليهود

واذا كان عدد الطلبـة الاجانب من البـلاد الاخرى لا يزيدون عن عشرون طالبا فقد انضممنا الى جمعيتهم وكنا نتناول اطعمتهم واثمانها زهيدة اذا قيست بغيرها من مطاعم تور يستطيع الطالب ان يتناول وجبة كاملة من الطعام مقابل خمسة فرنكات ونصف بينما تجدها بعشرة واثنى عشرة فى المطاعم الاخرى . ولكن الطعام ردىء للغـايه فى مطعم الطلبة اليهود كثيرا ما كانت تعـانى امعاؤنا من رداءته . وليس هذا مطعم الطلبة الوحيد فى تور فهناك مطعم آخر يتناول فيه طلبة الكلية الفرنسيون طعامهم وهو على عكس الاول الوان الطعام فيه غاية الاتقان والجودة والنظافة ولكنه غير مباح للطلبة الاجانب لوجود عداوة قديمة بين الطلبة الفرنسيين واليهود من الاجانب وكثير من هؤلاء الطلبة اليهود . اذا ما انتهت السنة الدراسية و اقبل فصل الصيف تركوا تور وانطلقوا الى المدن الكبيرة يشتغلون بها جرسونات أو خدم فى الكازينات والملاهى والفنادق . وكان لى منهم صديق « ى . ف » من اسره كبيرة فى هامبرج بدأ دراسته الطبية فى جامعتها و لكنه لم يلبث ان تركها كغيره من اليهود والالمانيين وفر الى فرنسا . واعطته الحكومة كارت العمل يخول له الاشتغال ولم يثنيه ذلك عن الانقطاع عن دراسته بل تراه يواظب على حضور دروس الكلية فى ايام الدراسة ويخرج فى ايام السبت والاحد الى القري المجاورة يحمل فى حقيبته الصور الزيتيه والحلى التى يرسلها اليه أحد اقاربه المقيم فى براج ويبيعها لسكان تلك القرى وكان يلاقى نجاحا لا بأس به

وبين هؤلاء الطلبة من لا تأذن له الحكومة بالعمل فى بلادها وهؤلاء يقضون حياة مضطربة ويسافرون من مقاطعة الى اخرى علهم يجدوا من حكامها أو من جمعياتهم من يشفق على حالهم ويعاونهم للحصول على كارت العمل

حالة هؤلاء المهاجرين من الشبان تدعو الى الاسى والحسرة فكثيرا ما تضطرهم أحوالهم الي ترك دراستهم ويهيمون على وجوههم بين المدن الكبيرة و الصغيرة فى البحث عن عمل أيا كان نوعه . فلا يترددون عن العمـل فى الحقل أو فى رصف الطرق أو فى أعمال البناء فهذه الاعمـال خير لهم من حيـاة الجوع والتشرد

تور وضواحيها

ومعرضها السنوى

تقع تور فى بقعة من الأرض تكثر فيها الغابات والاراضى المزروعة بالكروم وأشجار الفاكهة وتصل اليها كثير من خطوط السكك الحديدية تأتى اليها من نانت وبوردو وليون وباريس وانجيه وتنتهى اليها كثيرا من الطرق الزراعية التى تصل تور بما يحيط بها من القرى وخصوصا هذه الطرق التى تسير بحذاء نهر اللوار وتصل الى القصور التاريخية الجميلة التى تحيط بالنهر . يهرع اليها السائحون لزيارتها ويتمتعون بطقسها البديع وبمناظرها الطبيعية الجميلة . يحجون الى سان مارتان وكنيسته فى تور ويذهبون فى جماعات لزيارة قصور امبواز وسينون وبلوا وسومير ولوس وشامبور وازاى لوريدو وغيرها من تلك القصور التى أقام بها ملوك فرنسا لعدة قرون خلت

ويقام معرض تور السنوى فى شهر مايو . فتنتظم الحفلات التمثيلية والموسيقية وحفلات الرقص فى قاعات الأستقبال الكبرى بدار عمدة المدينة « الأوتيل دوفيل » وفى ليلة افتتاح المعرض يقومون بموكب عظيم يخترق شوارع المدينة وميادينها . يحملون المشاعل وينشدون الأناشيد البهجة ويرقصون فى الطرقات المزدانة بالانوار المتلألئة والزينات البديعة وتعرض فى شوارع بيرانجيه وهيرتولو التى تحف بها الاشجار الباسقة أحدث ماتوصلوا اليه من الالآت الزراعية والصناعية ومنتجات العلم الحديث وآخر الاختراعات ذات الفائدة العملية . ثم أحسن ما انتجته التورين من محصولاتها الزراعية ويقام ملهى كبير أشبه بمدينة الملاهى التى أقيمت فى العام الماضى الى جانب معرض مصر الزراعى الصناعى فى الجزيرة ترى به كثيرا من الالعاب المدهشة لتسلية الكبار والصغار ودور التمثيل الهزلى وسيرك ومراقص ومتاحف تعرض فيها الحيوانات التى شذت فى أشكالها عن سائر الحيوانات الأخرى فترى مثلا بقرة برأسين وثمانية أقدام وثعابين غريبة لها أجسام الثعابين ورؤوس شبه آدمية والى جانب هذه المتاحف أكشاك من الخشب تقيم بها نساء يدعين معرفة الغيب وقراءة الكف وتقرأ فوق احد الاكشاك « فاطمه الجزائرية تخبرك بالمستقبل » وكتب على اخر « زينب من تونس الشهيرة فى قراءة الكف » ولاتجد بين هذه النساء من تدعى زينب أو فاطمة أو مايماثلها من الاسماء العربية بل هن فرنسيات يخفين اسماءهن الحقيقة ويدعين انهن

من الجزائر أو تونس أو غيرها من بلاد الشرق لما عرف من مهارة أهل الشرق فى قراءة الكف!

والبهن كثير من الخطباء والمهرجين والمغنين والموسيقيين يجمعون حولهم مئات من الناس ويتحايلون بمختلف الطرق للحصول على عطف هؤلاء المستمعين واعجابهم وهذه طريقتهم لاكتساب معاشهم

وحول تور عدد من الضواحى الجميلة مثل « فوفراى » وهى معروفة بنبيذها الفاخر و « سانت افرتان » ذات موقع بديع على نهر الشير تحيط به الغابات الكثيفة والحدائق الغناء والقصور التى يقطنها النبلاء وأصحاب الالقاب من الأغنياء . يذهب الى هاتين الضاحيتين الجميلتين كثير من التوريين والتوريات فى فصل الصيف يغشون حدائقها الساحرة البديعة ومراقصها الى جانب مياه الشير واللوار ويتمتعون بهوائها العليل ويزورون كهوفها وقد وضعت فيها زجاجات النبيذ الفاخر والشمبانيا التى اشتهرت بها فوفراى وتمتد تلك الكهوف مسافات طويلة فى باطن الجبل ويقدم أصحابها لهؤلاء الزائرين كؤوس الشمبانيا والنبيذ مجانا إعلانا عنها وترغيبا فيها

زرت مع رهط من الاصدقاء بعض قصور اللوار المنتشرة على ضفاف هذا النهر بين بلوا وشينون ذهبنا الى بلوا وتبعد عن تور مسافة أربعون دقيقة وأخذنا نسير فى طرقاتها الضيقة الملتوية ويقع جزء كبير من المدينة فوق تل مرتفع يصل مابينه وبين سائر المدينة درج كبير ونجد كاتدرائية بلوا فوق هذا التل على صخرة تشرف على نهر اللوار وهى كنيسة قديمة يحيط بها كثيرا من المنازل العتيقة المتهدمه

نزلنا أثر ذلك الى الجزء السفلى من المدينة وشاهدنا فى طريقنا الي قصر بلوا كثيرا من الشوارع الواسعة النظيفة والمبانى الحديثة والمتنزهات نسقت أحسن تنسيق . وأخذنا نطوف بأسوار القصر العالية يزيد ارتفاعها عن خمسة وعشرين مترا حتى اذا ماولجنا باب القصر الخارجى الفينا ردهة واسعة وبناءا قديما بنى على شكل مضلع يرتكز على أعمدة مربعة الشكل وتحيط به شرفات تطل على فناء القصر . وظل هذا القصر قرونا عديدة مسكنا لاسرة بلوا الملكية . ولد به لويس الثانى عشر وأقام به فرنسوا الاول وهنرى الثانى وشارل التاسع وجعلوا منه مقرا لحكمهم وعاصمة مملكتهم

عبرنا نهر اللوار على جسر عتيق أمام بلوا لزيارة قصر شامبور وهو من أجمل القصور تحيط به حدائق وغابات شاسعة لايمل الانسان من السير فى مماشيها وطرقاتها للتمتع بمناظرها الساحرة فيشاهد أمام عينيه مثالا رائعا لجمال الطبيعة وسحرها

بنى فرانسوا الاول هذا القصر وكان أحب القصور الى نفسه . أدخلت عليه من بعده كثير

من الاصلاحات وقد مثل موليير مع فرقته رواية « الغنى الجنتلمان » فى قاعة الحفلات والاعياد فى ذلك القصر أمام الملك لويس الرابع عشر وحاشيته ولاتزال هذه القاعة حافظة لرونقها القديم وصورها ونقوشها من أجمل ما ازدانت به قصور الملوك . وفى منتصف الطريق تقريباً بين بلوا وتور مدينة امبواز بقصرها الشامخ وحصنها المنيع المشرف على نهر اللوار والى جانبها كنيسة سانت هيبرت التى قيل أن ليوناردو فانشى المصور الايطالى العظيم مدفون بها . وقد جعلوا من قصر أمبواز بعد وفاة الملك لويس الثانى عشر سجنا وهناك قضى الامير عبد القادر خمسة أعوام فى سجنه

ولا يقل « ازاى لوريدو » وحدائقه التى تحيط به عن قصر شامبور عظمة وروعة لموقعه البديع على جزيرة وسط نهر الأندر . وسكان التورين من أهل الطبقة البورجوازية لا يحبون الاختلاط بسواهم ولايهتمون بغير شؤون زراعتهم وتجارتهم

يقضى أصحاب القصور منهم فصل الخريف والشتاء فى قصورهم ويخرجون الى الصيد فى غاباتهم الخاصة أو فى غابات أمبواز وشينون فاذا ماحل الربيع هجروا قصورهم الى باريس أو الى الريفييرا حيث يقضون بقية أيام السنه

تقوم الى جانب قصور الاغنياء من النبلاء والاشراف منازل الطبقة البورجوازية تحيط بها حدائقهم التى تغطيها أشجار الفاكهة وكروم العنب ويعيشون حياة هادئة هانئة لا يعكر صفوها ضوضاء المدن ومشاغلها ولهوها بل يتمتعون بالهدوء والراحة وهواء الريف النقى يشرفون على زراعة حقولهم والعناية بها ويحافظون على منازلهم التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم احتفاظ المرء بالجوهرة الثمينة فلا تمس أيديهم منازل آبائهم ونقوشها وصورها بالتهذيب والتغيير الا نادرا

بواتييه

يؤدي طلبة كلية الطب فى تور امتحاناتهم أمام جامعة بواتييه لذلك ذهبنا اليها قبل الامتحان بيوم فى أربع سيارات اومنيبوس كبيرة فوصلنا اليها بعد ثلاث ساعات ثم ذهبنا إلى بناء الجامعة للاستعلام عن مواقيت الامتحان وأماكنه بالضبط

بقينا عشرة أيام كاملة فى بواتييه ولكننا لم نجد بها ما يلفت النظر سوى كنائسها الاثرية القديمة فطرقها ضيقة مظلمة ومنازلها عتيقة ولا نجد بها من الميادين المتسعة سوي (بلاسى دارم) يحيط به بيت العمدة و بعض المقاهى ليس بها جوقة موسيقية واحدة مع أنها أكبر مقاهى بواتييه. ثم مطاعم كبيرة أنيقة وفى الطرف الجنوبى من الميدان يبدأ شارع جامعتنا وهو شارع الطلبة وينتهى عند الجامعة . ويزدحم بجموع الطلبة وغيرهم من المتنزهين فى المساء وهو أجمل طريق فى المدينة وأحفلها بالمناظر الخلابة وهى متنزه سكان بواتييه يقصدونها فى فصل الصيف وأيام الآحاد خاصة ويستأجر بعضهم القوارب للتجذيف فى نهر الكلان . وقد قمت مع جماعه من زملائى وأصدقائى بنزهة فى إحدى تلك القوارب ولا أنس ذلك المنظر الرائع الذى بدا لنا عند اقترابنا من الصخرة العالية التى تشرف على مدينة بواتييه وقد بنوا فوقها تمثالا للسيدة العذراء يبلغ ارتفاعه عدة أمتار كى تحمى مدينتهم من غارات العدو الذى يسهل عليه فتح المدينة لقيام هذه الصخرة الكبيرة

ذكرت أن أهم ما يلفت النظر فى بواتييه وتجب زيارته هو كنائسها الاثرية القديمة ومن أقدم هذه الكنائس كنيسة القديس يوحنا وهو أقدم أثر مسيحى فى فرنسا وقد جعلته الحكومة متحفا لآثار تلك العهود الماضية .

ثم كنيسة سانت هيلين بنيت فى القرن العاشر وهى من اثار العصر الرومانى بنى سقفها على هيئة قباب وكنيسة سانت دادجوند ولم يتم بناءها مدة واحدة إذ شرعوا فى بنائها فى عهد الرومان ثم من بعدهم البيزنطيون فالقوطيون الذين أتموا بناءها . وقد ظهرت الفروق بين الفن الرومانى والبيزنطى والقوطي واضحة للعيان داخل البناء وخارجه .

أما أجمل هذه الكنائس على الاطلاق فهى كنيسه (نوتردام لا جراند) يقف الزائر أمام واجهتها الامامية يتأمل هذه التماثيل الصغيرة وضعت فى أشكال متناسقة ويعيد على ذاكرته ماصنعت

به تلك الكنيسة من عصور وهى تلقى علينا درسا فى تاريخ هذا الاقليم بل تاريخ فرنسا منذ القرن الحادى عشر الى القرن السادس عشر وقد مررنا فى طريقنا عند العودة إلى تور على قرى صغيرة استوقف نظرى، بها بعض سكانها الذين كانوا يصعدون إلى السيارات أو ينزلون منها . لا يداخلك أي شك اذا تاملت جيدا الى ملامح وجوههم أن الدماء العربية تسرى فى أجسادهم .
وبعد وصولى بقليل إلى تور ذهبت الى أمين مكتبتها وهو عالم ومؤرخ معروف فى بلاده وله أبحاث قيمة عن تاريخ التورين وبواتييه وقصورها واحوالها .لهذا قصدته واخبرته بما شاهدت فى تلك القرى الصغيرة فتفضل علي ببعض المعلومات عن تاريخ تلك البقاع وذكر لى كيف وصل العرب الى بواتييه عند ما ارادوا فتح فرنسا وهناك قابلهم شارل مارتل بجيش عظيم شتت شملهم فمنهم من عاد على اعقابه الي اسبانيا ومن لم يستطع العودة استقر فى احدى هذه القرى التى مررت بها فى طريقى من بواتييه إلى تور واختلط بأهلها وتزوج منهم .

فيشى ليون الريفييرا

أخذت تذكرة السفر من تور الى مارسيليا فى طريقى الى مصر من شركة كوك ويمكن لحامل هذه التذكرة أن ينزل فى أى محطة شاء على ان لا يبقى بها اكثر من يومين لذلك عزمت على زيارة فيشى وليون وهى أهم المدن الجديرة بالزيارة فى الطريق بين تور ومارسيليا

قضيت يومان فى فيشى اشهر مدينة فى العـــالم للاستشفاء بالمياه المعدنية . هذه حديقة السلستان المؤدية الى ينابيع المياه اذا جلست على أحدى مقاعد هذه الحديقة مرت بك اناس من جميع الاجنـاس والالوان جاءوا للاستشفاء بمياهها تراهم واقفين الى ينابيع المـــاء يتناولون الاكواب المملوءة من فتيـات حسان وهم لا يدفعون ثمنا لهذه المياه ثم تراهم وقد انتشروا فى أرجاء هذه الحديقة أو فى حديقة الكازينو يسيرون تحت اشجـارها الباسقة ويتمتعون بمناظرها الطبيعية البديعة فى هدوء وسكينة

ولا يمنعهم هطول الامطار من الخروج للتنزه اذا غطيت بعض اجــزاء الحديقة فاصبح فى متنـاولهم الخروج الى الحدائق فى جميع الساعات والاجواء . ومما امتازت به فيشى عن غيرها من مدن الماء انك تجد بهـــا قصورا يقيم فيها الاغنياء والمترفين وفنادق صغيرة وبنسيونات هادئة متواضعة وبذلك كان فى متناول الجميع ان يأتوا اليها للمعالجة والاستشفاء فى حمامات الدرجتين الاولى والثانية تخرج مياهها المعدنية من ينـابيع غنية بما فيها من الاملاح المعدنية تكون عند خروجها على أقصى ما تكون من النشاط ويكون تأثيرها ونفعها عظيما اذا تناولها المريض حالا بعد خروجها ويجب ان يكون ذلك بنـاء على امر طبيب يشرف على معالجته فيصف له الينبوع الذي يفيده اكثر من غيره لاختلاف درجات حراره الينابيع بعضها عن بعض واختلاف الاملاح المعدنية والغازات الذائبة فيها

وفيشى كغيرها من مدن المصايف والاستشفاء تسعى دائما فى جذب المرضى والسائحين اليها فانشأت كازينو به قاعات فخمة للرقص ولعب القمار وهو اعظم مورد لبلدية فيشى . ثم نظمت الحفـلات التمثيلية والموسيقية تدعوا اليها اكبر رجال الاوبرا والكوميدى فرانسيز والشائليه من الممثلين والممثلات وكبار الممثلين العالميين وفى وسط حديقة الكازينو قهوة بديعة تعزف فيها يوميا فرقة موسيقية من الفتيات نالت شهرة عظيمة لجمال فتياتها ومهارتهن الفائقة وسحرهن . فترى

الحديقة بعد الظهر قد أمتلأت بالمستمعين . ولم تغفل فيشي امر الرياضة فانشأت بها ملاعب للتنيس والجولف وغيرها من الالعاب هذا هو ما شاهدته أو عرفته من مناظرها وقد تركت فى نفسى أجمل الذكريات لهدوئها وما يحيطها من مناظر ساحرة . ولا يمل المريض الحياة فيها ولو اضطر الى الاقامة فيها اشهرا اذ يجد من أسباب اللهو والتسلية والرياضة ما ينسى به آلامه و أوصابه

يقطع القطار السريع المسافة بين فيشي وليون فى نحو اربع ساعات وعند وصول القطار الى هذه المدينة الاخيرة تنزل فى محطه البيراش احدى محطات ليون الاربعة الكبرى وأمامها ميدان كارنو انشئت فيه حديقة ومتنزه عام نظمت اشجاره ونباتاته وزهوره أجمل تنظيم وقد عنى المسيو هريو عمدة ليون ورئيس مجلس نواب فرنسا الحالى عناية كبيرة بتجميل مدينة ليون مسقط رأسه فاصبحت من أجمل مدن فرنسا واكبرها واحدثها نظاما

لاقت ليون فى ايام الثوره الفرنسية من التخريب والتدمير والجوع والحصار والاسر والقتل ولاقى اهلها فى اثنائها من الاهوال والمصائب ما لم تشاهده غيرها ولم ينج من ابنيتهـــا وآثارها الا النذر اليسير اذ كر منها مستشفى الاوتيل ديو أكبر مستشفياتها ثم جاء نابليون فاعاد تشييدها وعهد بذلك الى المهندس البارع بيراش الذى اطلقوا اسمه على اكبر محطاتها تخليدا لذكراه

ويشق مدينه ليون نهرا الرون والصون ومن كنائسها (سيدة الفورفيير) وهى على قمة جبل الفورفيير ويستطيع الواقف على هذا الجبل ان يشاهد الجبل الابيض

وتحيط بكنيسة الفورفيير الاشجار العالية فتكسبها روعة وجمالا بنيت فى سنة ١٨٨٤ على انقاض معبد كبير اقامه الامبراطور تراجان فى القرن الثانى بعد الميلاد

ومتنزهات ليون كثيره منها التيت دور وهو فى الطرف الشمالى من المدينة على نهر الرون وبه بحيرة تسير فيها القوارب الصغيرة وجعلوا قسما من الحديقة كمتحف للنباتات تشاهد فيه جميع انواع النباتات التى تنمو فى مناطق الالب واخرى مغطاة باكشاك صنعت جوانبها من الزجاج ووضعوا بها نماذج كثيره من نباتات البلاد الحارة

ويقع ميدان بيلكو وهو قلب ليون النـــابض فى وسط المدينة به حديقة صغيرة وضعت بها المقـــــاعد للمتنزهين وفى الطرف الايمن من هذه الحديقة مكتب للسياحـة يقوم بتقديم جميع التسهيلات والارشادات التى يحتاج اليها الزائرون ويقوم هذا المكتب بدعاية واسعة النطاق لمنتجات هذا الاقليم الصناعية وهو مشهور بصناعة الحرير وبالقرب من ليون أكبر

وأشهر مصانع الاسلحة فى فرنسا

وفى القسم الشرقى من ميدان بيلكور كازينو بديع ومطعم وقهوة تعزف فيها الموسيقى حتى منتصف الليل

ويمتد من هذا الميدان شارع الجمهوريه وتراه مزدحما بسكان ليون ممن يقصدون قهوات هذا الشارع الكثيرة أو دور اللهو والسينما. زرت فى ليون جامعتها ثم قصر المحكمة وقصر التجارة وشاهدت متحف الانسجة فى قصر التجارة يشتمل على قطع من النسيج المصرى القديم مما عثروا عليه فى آثار طيبة ومنفيس وبعض الاقمشة النادرة الوجود جاءوا بها من أسبانيا وايطاليا وبلاد الهند والعجم والصين واليابان. وبها غرف تحوى الطنافس الفارسية النفيسه التى لا تقدر بثمن

وقد جمعوا فى احدى صالات المتحف نماذج من الانسجة المصنوعة فى ليون والدنتلة والانسجة المطرزة وفى احدى جوانب هذه الصالة أول ماكينه للخياطة اخترعها فرنسى من ليون منذ أكثر من مائة عام. هنا انتهت زيارتى لمدينة ليون فسافرت الى مارسيليا وذهبت توا الى مقهى الكانبير عند ملتقى المرفأ القديم بالكانبيرا لانتظار صديقى « اريل هامسون » وكان صديقى وزميلى فى السربون فى باريس ثم فى تور وهو ابن المؤلف النرويجى الكبير « كنوت هامسون » كان يقضى شطرا من عطلة الصيف مع أسرته فى « جوان — ليه — بان » على ساحل الريفييرا ووصل صديقى عند الظهر تقريباً فقمنا سويا الى أحد مطاعم مارسيليا وأكلنا « البوبابيس » وهو مزيج من الاسماك وقواقع البحر أضيف اليها مقدارا وافرا من التوابل. وقد اشتهر المارسيليون بتعلقهم بهذا النوع من الطعام. ثم ركبنا السيارة فى طريقنا الى « جوان — ليه — بان » اذ دعانى صديقى الى البقاء معهم بضعة أيام حتى موعد قيام الباخره

مررنا بحقول شاسعة لايدرك مداها البصر زرعت بصنوف الورود والزهور وأشجار الزيتون والبرتقال ورأيت بعض فلاحى الريفيرا وقد احتفظوا بطرق الري القديمة. كانت أول مرة أشاهد فيها الساقية التى تديرها الخيول فى فرنسا اذا انتشر استعمال الالات الحديثة فى الرى والحرث فى سائر انحاء فرنسا الأخري. تري قطعان الغنم ترعى فى حقول أصحابها ويقوم على حراستها رعاة من الصبيان والي جانبهم كلابهم الامينة. بعد أن تركنا مدينة « هيير » بقليل دخلنا الى غابة المور وفيها أشجار كثيفة وطرق ضيقة متشعبة مما يجعل الاهتداء الى الطريق المؤدى الى « كان » متعذرا لولا تلك العلامات التى وضعتها الحكومة عند ملتقى تلك الطرق وكتبت عليها الارشادات اللازمة وجعلت عند ملتقى تلك الطرق علامات تشير الى المدن التى تؤدي اليها والمسافة بين هذه العلامة والمدن المؤدية اليها. وكانت تصعد بنا السيارة فوق تلال مرتفعة وتنحدر بنا أحيانا الى

أودية منخفضة وبعد ساعة أو أكثر خرجنا من الغابة الى حقول الريفييرا الجميلة نتمتع بهوائها المنعش وشمسها وسمائها الصافية وعلى يميننا كروم العنب التى لا يزيد ارتفاعها عن وجه الارض أكثر من متر والى يسارنا مياه البحر الزرقاء الهادئة وكان يظهر لنا بين الاونة والاخرى قارب صغير من قوارب الصيد أو باخرة فى طريقها الى طولون أو جنوى أو مارسيليا

مررنا على شواطىء «سان تروبيز» و «فريجيز» و «سان روفائيل» بفيلاتها الجميلة تحيط بها الحدائق المترعة بأشجار النخيل والورد يروعك هدوءها الشامل ومناظرها الساحرة

وصلنا «كان» مصيف الملوك والامراء واصحاب الملايين ويقضى بها ملوك السويد والنرويج والدانمارك جزءا من فصول الشتاء والربيع بها والدوق وندسور ملك انجلترا السابق

وبلغت بنا السيارة جوان ليه بان زهاء الساعة السادسة فاستقبلتنى أسرة صديقى أحسن استقبال ونزلت فى نفس الفندق المقيمين به يشرف على غابة الصنوبر البديعة والكازينو ورمال الشاطىء ولكننى لم ألبث أكثر من ساعة فى غرفتى خرجنا بعدها للنزهة على شارع الكورنيش الجميل وما أجمل النزهة فى هذا الشارع الطويل الذى يمتد على خليج جوان حتى رأس أنتيب ومياه البحر هنا هادئة لا تصل اليها الرياح الباردة اذ تحجبها عنها جبال الالب

كنا نذهب فى الصباح الباكر للاستحمام على الشاطىء ثم نذهب الى الكازينو أو نجلس فوق الرمال نلهو ونتجاذب ماطاب لنا من أشهى الاحاديث . كانت تلك الأيام من أجمل وأسعد أيام حياتى أتيح لى فى خلالها مقابلة أكبر كتاب النرويج قاطبة «كنوت هامسون» والتحدث اليه وقد أهدانى بعض كتبه التى ترجمت الى اللغة الفرنسية والانجليزية والألمانية وعشرات اللغات الأخرى وقص على طرفا من حياته وكيف هاجر الى الولايات المتحدة وهو صبى لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره وكان اذ ذاك فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شيئا

اشتغل كعامل فى المصانع ثم قراض للتذاكر فى عربات الترام بعد أن ذاق الجوع والذل وعاش أشهرا بل أعواما وهو طريد شريد . وشق طريقه فى الحياة وسار فى طريق النجاح الوعر غير هياب ولا وجل وقد روي قصة حياته بالتطويل فى بعض قصصه العظيمة الرائعة مثل (الجوع) و «فيكتوريا» و «لتحيا الحياة» كنا نذهب كل ليلة الى الفيكنج وهو بار نرويجى صغير ننتقل منه الى مرقص ما كسيم لاستماع الموسيقى والرقص

نابلى

رجعت الى مارسيليا فى طريقى الى مصر وكانت الباخرة الت[illegible]ت عليها من البواخر الصغيرة التى لا تزيد حمولتها عن خمسة الاف طن ولكنها مريحة [illegible] و[illegible]ذا كان عدد ركابها صغيرا لذلك شعرنا بأننا افراد اسرة واحدة وتوثقت بين المسافرين عرى [illegible] لا تدوم اكثر من ايام السفر ولكنها صداقة لذيذة وحياة تترك وراءها اجمل الذكريات

نجلس الساعات الطوال فوق ظهر الباخرة بين قراءة صحيفة او كتاب او فى حديث ممتع او فى مناقشات ومجادلات بين بعض الركاب فى موضوع من المواضيع

وعند ما يدق جرس العشاء نسرع الى غرفة الطعام وكانوا يقدمون لنا اشهى الاطعمة واجودها وافخر انواع النبيذ وكانت تجلس بالقرب منى سيدة يونانيه لم تتجاوز الخامسه والعشرين من عمرها مع طفلها الصغير فى طريقها الى اثينا . كنت اراها فى كثير من الاحيان واجمة حزينه متوترة الاعصاب . كانت تطلب العلم فى جامعة باريس فتعرف عليها طبيب يزاول مهنته فى باريس وتزوج منها وعاشا هانئين مدة خمسة اعوام ثم عبس لها وجه الدهر فجأة وكان ذلك البيت الصغير الهادىء الذى رفرفت عليه اجنحة السعادة لم يكن اذ قضى الرجل نحبه فى حادث سيارة وعادت هى وطفلها إلى وطنها . وكانت تجلس معنا الى المائدة جماعة الاسبرانتو هذه اللغة الدولية التى يسعوا فى جعلها لغة العالم كله يستطيع التفاهم بها الصينى واليابانى والهندى والتركى والمصرى والانجليزى والالمانى والفرنسى والايطالى ولكن جماعاتهم لا تزال فى المهد ومن الصعب بل المتعذر تحقيق غرضهم

وقفت بنا السفينة فى ميناء نابولى فى الساعة الثامنة صباحا على أن تقلع عند الساعة السابعة مساءا . وشوارعها كثيرة الزحام وحركة البيع والشراء غاية فى النشاط ويقع جزء من المدينة فوق سفح الجبل لايستطيع المرء أن يصل اليه بسهولة على الاقدام بل يستعين على ذلك بمركبات الترام المسماة «فونيكلير» وهذه تستعين على نزولها وصعودها بالسلاسل المشدودة الى قضبانها الحديدية

ذهبنا لزيارة بومبي فى القطار الذى يصل اليها بعد ساعة ونصف يسير فى خلالها بين حدائق غناء ومزارع نضرة وكروم ممتدة على الجانبين وهى محملة بعناقيد العنب النادرة المثيل

هاهي مدينة بومبي التي عادت إلى الوجود ثانية بعد أن بقيت مدفونه تحت الحمم والصحور والمعادن التي قذفها بركان فيزوف فوقها في سنة ٨٩ق.م . وقد كشف البحث عن أنقاض الدور والمعابد والشوارع المرصوفة .

كانت بومبي قبل دمارها مدينة كبيرة عامرة بالسكان وخاصة بأغنياء الطليان لجمال موقعها وطيب هوائها ونرى على جدرانها من النقوش ما تدل على كثرة الملاهي عندهم وما كان عليه سكانها في ذلك الزمان من المجون والتهتك والاباحية التي لا يتصورها العقل . كان أهل بومبي يعنون بتزيين منازلهم من الداخل بالنقوش والرسوم التي لا تزال إلى اليوم محتفظة بألوانها رغم تلك الأحقاب الطويلة التي مرت عليها

نرى في هذه الرسوم بعض عاداتهم ومآكلهم والمهن والصنائع التي كانوا يتخذونها في ذلك الزمان

وأمكنهم بواسطة هذه الرسوم والنقوش أن يقارنوا بين ما تركه أهل بومبي من اثار يغلب عليها الفن الاغريقي القديم وفنون المسيحية في عصورها الأولى والتطورات التي مرت بها . تمثل لنا بعض الرسوم التي نجدها على جدران منازلها قصص الالهة الاغريقية القديمة فينوس وباكوس وديانا وصور من قصص الأوديسة والألياذه تنتقل منها إلى رسوم دينية تمثل صلب المسيح وصور القديسين وبعض عقائد الديانة المسيحية القديمة التي كان لها الفضل في كشف اسرار دينية غامضة لم تعرف قبل عودة مدينة بومبي إلى الظهور ويوجد في أحد أطراف المدينة منزل عثروا عليه منذ عشرين عاما فقط واسم هذا المنزل (بيت الاسرار) تزين جدرانه الصور والرسوم الغريبة ويقال أنهم كانوا يأتون الى هذا المنزل بالمتزوجات حديثا يتلقين فيه دروسا تشرح لهن كنه تلك الأسرار بعد أن يجتزن كثيرا من الاختبارات والتجارب القاسية حتى يثبت لهم ان هذه المرأة جديرة بأن تكون زوجه وأما لأطفال المستقبل

وقد رأيت منظرا ترتاع له النفس لفظاعته في متحف هذه المدينة . رأيت هيا كل بشرية لرجال ونساء وأطفال دفنوا أحياء وقد بدت علائم الرعب والهلع على وجوههم عند ما باغتتهم تلك الميتة الفظيعة ورأوا أنفسهم أمام هلاك محقق والى جانبهم بعض الحيوانات المستأنسة كالخيول والقطط والكلاب والطيور الداجنة

ومن اهم ما رأيناه في نابولي قصرها الملكي وحديقته الغناء وكنيسة (سان فونسيسكو دي باولو) وميدان (بلازا ديل بلبيتسو) وشارع سيزارو الذي يصل الى الكورنيش وتغطي حدائق واسعة بها نافورات بديعة ومناظر خلابة الجانب الايمن من شارع الكورنيش ومنظر خليج

نابولى ثم بركان فيزوف الذى لا ينقطع صعود الدخان الكثيف من فوهته من أروع المناظر التى يشاهدها السائر فى هذا الشارع

والمتحف الوطنى الذى أمر بتشييده الملك شارل دوبوربون كى يجمع فيه قطع النقود القديمة والجواهر . ثم نقلت اليه بعض الاثار التى عثروا عليها فى بومبى وهركو لا ينوم

شاهدنا فيه قسم الاثار المصرية وكثيرا من التماثيل الاغريقية وأوانى منقوشة مزخرفة غاية فى الجمال ثم قسم الاثار الايطالية وبه تماثيل وصور لكبار رجال الفن فى ايطاليا أمثال روفائيل وبوسان وميخائيل أنجلو وبروجيل وتيسيان

وبالقرب من نابولى جزر كابرى واسشيا وبروسيدا وشواطيء سورانت رأيتها عن بعد فى خليج نابولى البديع . كنت أتوق الى زيارتها والصعود الى قمة بركان فيزوف ولكن قصر مدة اقامتنا بها لم تسمح بذلك . فالصعود الى قمة بركان فيزوف بواسطة (الفونيكلير) يستغرق أكثر من خمس ساعات .

السفر الى اثينا وبيريه

أخذت الباخرة تسير بنا مسرعة فى مضيق مضينا ثم فى مياه بحر الادرياتيك الهادئة وكنا جالسين على مقاعدنا نمتع انظارها برؤية غروب الشمس وقد صفت السماء ورق النسيم مما جعلنا نشعر حقيقة باننا نسير نحو الشرق . نحو بلاد اليونان حيث ترسو بنا السفينة غدا فى الصباح الباكر . اذن غدا صباحا تمر بنا السفينة فى مضيق كورنث آية الاتقان مما يشهد بتقدم فنون الهندسة والعمارة فى عصرنا الزاهر . عصر العلم والاختراع . وغدا ترسو بنا السفينة على بيريه

كان ذلك موضوع احاديثنا بعد العشاء فى صالون الرقص وقد ارتدت النساء ثياب السهرة البهيجة والرجال بذلاتهم السموكنج وشارك بعض ضباط السفينة المسافرين فى رقصهم وبهجتهم وكانت ليلة ليست كغيرها من الليالى فى الضحك والمرح والسرور

كنت اذا رايتهم على هذه الحال خيل اليك انهم جميعا افراد أسرة واحدة والحقيقة انها كانت جمعية امم فقد كان بينهم الانجليزى وهو الذي اشتهر بالرزانة والوقار وبشيء من البرود فى عواطفه تراه فى حلقات السرور والطرب كثير الصخب والمزاح يلفت اليه الانظار بكثرة ما يتناوله من اقداح الويسكى وبصياحه وضجيجه ثم الفرنسى والايطالى و اليونانى والسورى والمصرى ومضى الوقت سريعا حتى اننا لم نشعر به وعندما ذهبت الى فراشى بعد الساعة الثانية صباحا لم استطع النوم بل بقيت مستيقظا حتى طلوع الفجر . كنت افكر فيما عساى فاعله فى خلال هذه الايام الاربعة فى اثينا قبل قيام الباخرة التالية الى الاسكندرية ميناء بلادنا المحبوبة . قمت لاحزم امتعتى وارتدى ملابسى للصعود الى سطح السفينة حتى اراقب عن كثب مرورها فى مضيق كورنث وعند الساعة السابعة تماما رست بنا السفينة على ميناء بيريه . وقد تولتنا الدهشة حين نزلنا الى المدينة ورأينا ما هى عليه من قذارة . امتلأت بالمقاهى والمتاجر الصغيرة والباعة المتجولين والمتسولين وماسحى الاحذيه عراة الاقدام ورأينا بعض النساء يرتدين الملاءات السوداء . مدينة شرقية اكثر منها أوربية . استاجرت مع المسافرين سيارة تاكسى الى اثينا دفع كل منا نحو عشرة درخمات اى قرش صاغ ونصف وتوجهت توا الى فندق الاسكندر الاكبر وهو قريب جدا من ميدان أومونيا وأجرة الغرف فى فنادق أثينا زهيده جدا

اذا ما قيست بغيرها فى فرنسا أو انجلترا مثلا . فالقرش المصرى يساوى ستة درخمات وتستطيع بمبلغ قرشين صاغ ونصف ان تتناول وجبه كاملة فى احد مطاعم أثينا الجيدة . والتجارة فى كساد وعلائم البؤس والشقاء كانت تظهر على وجوه الكثير ممن تقابلهم فى طريقك ويعرض التجار بضائعهم بابخس الاثمان . بدأت بعد ظهر ذلك اليوم نفسه بزيارة أثينا عاصمة اليونان ومدينة الفلسفة والحكمة والفن والجمال . هذه المدينة التى يحق لها ان تفخر بتاريخها المجيد ومدنيتها الخالدة . رأيت الشوارع تموج بالجماهير الغفيرة ولم أر طريقا وأحدا أو ميدانا أو حديقة عامة لا تبدو فيها الحركة المستمرة وهذا النشاط الدائم

ومما يلاحظه الزائر فى أثينا انها مدينة صغيرة وليس بها من الميادين الهامة ما يستحق الذكر سوى ميدان اومونيا تتفرع منه شوارع المدينة الرئيسية اذكر منها شارع الملعب الاولمبي وشارع الجامعة . تحيط بالميدان عدة فنادق من أكبر وافخم الفنادق ومطاعم ومقاهى كبيرة

سرت فى شارع الملعب أجيل النظر فيما حولى من دور الرقص والسينما والتمثيل والمتاجر حتى وصلت الى باب الملعب الاولمبي وهو بناء حديث بنى على انقاض الملعب القديم الذى كان يندثر وتزول معالمه ولكن قام المسيو افيروف من كبار رجال الاعمال اليونانيين فى الاسكندرية باعادة بنائه على حسابه الخاص . ويسع الملعب الجديد ما يربو عن خمسين الف متفرج يجلسون فى صفوف دائرية تحيط بارض الملعب وقد اقيمت فيه أول دورة للالعاب الاولمبية الحديثة فى عام ١٩٠٦ . قابلت هناك احد اليونانيين ممن يعرف مصر جيدا و يتكلم اللغة العربية وقد قضى هذا الرجل فى صعيد مصر فى مدينة البلينا أكثر من عشرين عام مشتغلا بالتجارة : سررت حين رأيت فى هذه البلاد التى لا أعرف لغة أهلها من يتكلم بلغتى ويروي لى شيئا عن حياته فى مصر وكيف عاش سعيدا بين اهلها ويود لو اتيح له من جديد أن يعود الى مصر التى يعتبرها وطنا ثانيا له . وسار معى هذا اليونانى فى شوارع اثينا يهدينى الطريق ويرشدنى عما فى أثينا من آثار ومتاحف تستحق الزيارة وحدثنى عن ضواحيها الجميلة وعن شواطئها وجبالها وينابيعها واحوال بلاده السياسية والاقتصادية . كان رجلا مثقفا واسع الاطلاع وفى خلال تلك الايام القصيرة التى قضيتها فى بلاده العظيمة خرجنا معا لزيارة معالمها وآثارها

شاهدنا بوابة أدريان التى بناها الامبراطور أدريان فى الطرف الشرقى من المدينة وقد كتب

على الواجهة الاماميه للبوابة هذه الكلمات « هذه اثينا التى يحكمها تيسيوس » وكتب على على الواجهة الخلفية « هذه اثينا التى يحكمها أدريان وليس تيسيوس »

وقضيت اليوم التالى على شاطىء البحر فى لوتراكي وكانت نزهة بديعة فى السيارة وقد قطعت المسافة فى ساعة ونصف فى طريق يحاذى شاطىء البحر . وبها كثير من المنازل الفخمة والفنادق الكبيرة والمطاعم الفاخرة ودور اللهو والمنتزهات على شارع الكورنيش وهى لا تقل عن احدث المصايف الاوربية طرازا واجملها موقعا وبها منابع مياه معدنية للشرب مجانا وهذه تمتلكها الحكومة ثم حمامات وهى على درجات ويمكن الاستحمام ايضا فى مياه البحر يهرع اليه فى الصيف الاغنياء من الاثينيين من غواة الاستحمام ويذهب اليها عدد كبير من المصريين لتمضية فصل الصيف حيث يمتعون أنفسهم بمناظرها الجميلة وهوائها العليل او للاستشفاء بمياهها الكبريتية

الاكروبول

قابلني صديقي اليوناني في اليوم التالي في القهوة التي اخبرني انه يتردد عليها كثيرا وكنا على موعد لزيارة آثار الاكروبول معا وفي طريقنا اليه مررنا بانقاض ملاهي أثينا الخالدة مثل الاوديون بناه اتيكا قبل ميلاد المسيح بمائتي عام تذكارا لزوجته وكانت تقام فيه حفلات الرقص والغناء والموسيقى ثم مسرح ديونيسيوس شهد فيه اهل أثينا في تلك العصور الزاهرة القصص التمثيليه الرائعة وعرجنا على معبد البارتينون وقضينا في زيارته اكثر من ساعه كنا نجيل النظر في انحائه وفيما احتواه من تماثيل من الرخام تمثل لنا جمال الاجسام ودقتها قام بنحتها فيدياس المثال الاغريقي المشهور ويروى لنا التاريخ كيف قضى منوسكليس وا كتينيوس تسعة أعوام كاملة في تشييد هذا المعبد وجعلوا منه بناءا نادر المثال فظل قرونا عديدة ذهبت في خلالها أجيال من الناس أتت بعدها اجيال كانوا يفدون اليه في اثنائها ليروا ما وصل اليه الاغريق من المهارة والابداع في فنونهم

وقد ناله لسوء الحظ كثيرا من الاذى على يد الاتراك اذ جعلوا منه مستودعا لذخائرهم الحربية وميدانا للقتال فلم يتركوا لنا الا انقاضا خربة لا تزال الى يومنا هذا موضع الاعجاب والدهشة . ونجد في متحف الاكروبول نموذجا صغيرا يمثل لنا البارتينون أيام مجده وقبل تدميره

رأينا الى يميننا هذا المرتفع من الارض الذي كان يدعو القديس بولس اليونانيين من فوقه الى اعتناق الديانة المسيحية . ثم ذلك التل الذى حكموا فوقه على سقراط بالموت . واشار الى احدى قمم الجبال المرتفعة المحيطة بأثينا التى قيل في الاساطير أن هنا كان يعيش افلاطون الفيلسوف أيام طفولته وكان يأتي اليه النحل كل يوم ويضع العسل في فمه .. وعلى مقربة من هذا الجبل يقوم تل مرتفع قيل عنه أن افلاطون كان يتردد عليه كثيرا فيما بعد أيام رجولته ويجمع حوله تلاميذه ومريديه

كنا نتأمل هذه الجبال المرتفعة حولنا والسماء الزرقاء الصافية ومياه البحر الساكنة التى لا

تري فيهاأى اثر للامواج : طقس بديع حقا

وكان ذلك من حسن حظنا حتى نشاهد هذا المنظر الرائع الذى تغنى بجماله شعراء الاغريق وادباؤها وفلاسفتها

ويحف بالطريق الصاعد الى قمة الاكروبول اشجار التين والزيتون . انتهى بنا الى باب الاكروبول الخارجى «البروبيليا» بناه الملك بيركليس ليحل محل الباب القديم الذى هدمه الفرس وقد فرضوا رسماقدره نحو سبعة قروش مصريه على الزائرين من الاجانب بينما لايدفع اليونانيون رسما عند دخولهم اليه

يصعد الزائر على درج طويل ينتهى به أمام معبد «اثينا المنتصرة» شيده الاغريق القدماءمن الرخام الابيض الناصع تذكارا لمعركتى (ماراتون) و(سلاميس) التاريخيتين واطلقوا على هذا المعبد اسم (معبد الالهة أثينا التى لا أجنحة لها) ومن اجمل ما تراه العين فى هذا المعبد واجهته الاماميه وهى عبارة عن صف من الاعمدة المربعة الاضلاع . وتري على مسافة بضعة أمتار منه قاعدة تمثال (أجريبا) هائلة الحجم يبلغ ارتفاعها عشرين مترا أو اكثر وقد كتب عند قمة هذه القاعده العبارة التالية(شيد سكان أثينا هذا التمثال اعترافا بفضل ماركو أجريبا وما قام به نحو شعبه من خدمات عظيمة ونعم جليله)

وفى الطرف الغربى من الاكروبول الذى يشرف على بلاجات (فاليرو) و(جليفاضا وشواطئها البديعة رأينا معبد الفتيات العذاري وهو على جانب كبير من الحسن والابداع . عبارة عن تماثيل فتيات يحملن فوق رؤوسهن سلال الفاكهة ويرتكز فوقها سقف البناء . ولا أحدثك عن جمال الفتيات الفائق وحسنهن البارع فيخيل اليك اذا نظرت اليهاأنها اجسام حية وليست تماثيل حجر صامتة)

لمست فى كل ما رأيته عينى فوق جبل الاكروبول من اثار ومبلغ اهتمام الاغريق القدماءبالفنون وقد جعلوا لكل منها اله خاص وشيدوا لتلك الالهة معابد شامخة وأقاموا فيها التماثيل الرائعة الجمال يقيمون فيها الحفلات الموسيقية والتمثيلية تقربا من الهتهم

« • »

قبل ان اودع أثينا عاصمة الفلسفة والحكمة والجمال قمت بجولة اخيرة فى انحائها مررت بحديقتها العامة وقصرها الملكى وأمامه قبر الجندى المجهول ثم جامعة اثينا وأكاد يميتها وقصر

زيبيون وهو معرض دائم تحيط به حدائق غناء تمتد حتى الاكروبول بها ملاهى وملاعب للجولف والتنيس ومقاهى فى الحديقة يهرع اليها سكان المدينة للراحة والاستجمام . وشاهدت فى معرض زيبيون نماذج لمصنوعاتهم وفنونهم وملابسهم وأثاثهم منذ العصور الاولى للتاريخ حتى يومنا هذا

ورأيت فى متحف أثينا تماثيل رائعة الجمال منها تمثال بديع لرأس المرأة فى حجمها الطبيعى وتماثيل أدريان الهائلة الحجم وتجد كثيرا من اوانى الخزف البديعة واكثرها من مخلفات القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد

وفى متحف « بيناكى » كثير من آثار الكنائس المسيحية الاولى فى اليونان من صلبان وايقونات مصنوعة من الفضة أو العاج و به نافورات ومشارب و محارب اسلامية اثرية

ومجموعة بديعة من الزجاج والخزف المنقوش صنعت فى مصر فى عهد المماليك وفى الطابق الارضى من هذا البناء بعض تذكارات حرب استقلال اليونان

وقد جمع اليونانيون فى متحف استقلالهم ماغنمته أيديهم فى حروبهم مع الترك وكتب لهم فيها بالنصر ونالوا استقلالهم كاملا . وترى بهذا المتحف رسوما زيتية كثيرة تمثل ما ارتكبته الاتراك فى حروبهم من اعمال القسوه ربما كانت حقيقية وربما بالغوا فى تمثيلها اذ ان بعضها مما ترتعد لرؤيته الفرائص

وقصدت بعد زيارة المتاحف الى كنيسة « سان جورج » وقد بنيت هذه الكنيسة على جبل شاهق . وسان جورج هو حامى اثينا كما يعتبره الانجليز حاميا لبلادهم . صعدت اليها فى طريق حلزونى طويل تحيط به فى بعض اجزائه حدائق وبساتين زرعت بصنوف الفواكه والازهار وتجد فى طريقك محطات للاستراحة عبارة عن مقاهى جلست فى احداها بضع دقائق ثم عدت الى السير الى أن وصلت فى النهاية الى قمة الجبل الشاهقة وكنيسة سان جورج صغيرة جدا وبناؤها غاية فى البساطة يعلوه مصباح يضىء بالليل وهو اشبه بمصابيح الفنارات والى جانب الكنيسة مقهى يلذ للزائر الجلوس الى احدى موائده ليستريح ويتناول بعضا من المرطبات اوالفواكه المثلجة ويمتع انظاره بمشاهدة مدينة اثينا وبالقرب منها مياه البحر الزرقاء الهادئة وقد ظهرت على شاطئه الضواحى الجميلة و شارع الكورنيش الذى كنت أسير عليه فى اليوم السابق ورأيتها مزدحمة بالمصطافين

وقمت بجولة فى المساء بشوارع المدينه زرت فى أثنائها بعض دور الرقص والتمثيل كانت اخر ما شاهدته بل على اخر ما شاهدته فى اوربا

السفر الى بيروت

ذهبت أيام لندن وباريس وتور . وانقضت تلك العهود اللذيذة . هذه الحياة الاوربية التى تختلف اختلافا بينا عن الحياة فى بلادنا وفى الشرق أجمع .

يحن قلبى اليوم الى باريس وقد أثار افتتاح معرضها أخيرا كثيرا من الذكريات . ذكرى محاسنها وحياتها السعيدة وخاصة حياة الطلبة . ذكرت السربون وحديقة اللوكسمبرج وبولفار سان ميشيل . النوكتابيل والديبونت . ذكرت الاحباب والاصدقاء . ذكرت هوى باريس ورددت مع الشاعر :

أيا صاحبى اما حملت رسالة
إلى دار احباب لنا طاب مغناها
سلام على تلك المعاهد انها
محط صبابات النفوس ومثواها
رعى الله اياما تقضت بقربها
فما كان أحلاها لدينا وامراها

قضيت بضعة أشهر فى مصر رجعت بعدها إلى الدراسة فى كلية الطب بجامعه سان جوزيف فى بيروت . وتتبع فى أنظمتها وبرامجها وفى جميع شؤونها جامعات فرنسا

وللسفر إلى بيروت طريقان أحدهما فى البحر من الاسكندرية أو بورسعيد والثانى فى البر عن طريق القنطرة وحيفا .

يقوم القطار من القنطرة فى منتصف الليل ولا يقطع فى خلال الخمس ساعات حتى وصوله الى غزة سوى هضاب ووديان صحراوية قاحلة ثم يطلع الفجر عند غزة وتختفى الفيافى والقفار لتحل محلها حدائق غناء على الجانبين تتدلى من أشجارها ثمار البرتقال والليمون والتين والرمان

وصلنا حيفا عند الساعة العاشرة تماما وقد أصبحت اليوم ميناء تجارية هامة ومدينة كبيرة شوارعها واسعة زرعت على جوانبها الاشجار وكل ما فيها حديث من منازل وحوانيت وقهوات وفنادق وهى أكبر شاهد على أن اليهود رجال تجارة ونشاط وعمل . وقد أدهشنى ما رأيت من شغلهم للوظائف المهمة وقيامهم بجميع الأعمال الرئيسية وتركوا للعرب أحقر تلك الأعمال

وأصغرها شأنا . وبينما ترى الحقول التى يمتلكها العرب لا تزال تزرع بالطرق العتيقة اذا بك تشاهد فى المستعمرات اليهودية أحدث الانظمة والالات واستدعوا من أوربا وأمريكا أكبر العلماء والمهندسين والمخترعين وأنفقوا الملايين من الجنيهات فى شراء الاراضى من العرب بأثمان لم يكونوا يحلمون بها من قبل ورضوا بالصفقة فرحين مسرورين

وقام اليهود بزراعتها وتنظيمها وانشاء الحدائق والمصانع وأسسوا الشركات وطردوا العرب وأحلوا محلهم عمالا من بنى جنسهم . لهذا ثار العرب ضدهم هذه الثورة الدامية التى نسمع عن أهوالها ونقرأ مآسيها . ويقع جزء من مدينة حيفا فوق جبل الكرمل ويسمونه جبل (مار الياس) وقد شاد الاباء الكرمليون كنيسة على قمته وبجوارها دير للراهبات حيث يعيشون فى عزلة عن العالم . وقطعنا المسافة بين حيفا وبيروت فى احدى السيارات التى تقوم بانتظام الى بيروت كل ثلاث ساعات اذ لم تنشأ خطوط حديدية تصل بين هذين القطرين وكنا نسير تارة بين المراعى وطورا فى طرق محاذية لشاطىء البحر وقد مررنا فى طريقنا على ميناء صور التى جاء ذكرها فى التوارة وترى بساتينها المنزرعة على سفوح الجبال القريبة منها وتشاهد منازلها البيضاء الجميلة وكنائسها وأديرتها القديمة وبالقرب من الشاطىء انقاض معابد ومنازل كانت تمتد اليها صور القديمة ولا تقف السيارة فى صور أو صيدا أو عكا هذه المدن التاريخية أكثر من دقائق لا تسمح لنا بمبارحة أمكنتنا أو زيارة شىء من اثارها المشهورة . وصلنا إلى اخر الحدود الفلسطينية ثم إلى بلدة الناقورة وهى أول الحدود اللبنانية والمسافة بينهما ثلاثة كيلومترات . ووقفت بنا السيارة فى كل منهما أكثر من ساعة للتفتيش على جوازات السفر وأمتعة الركاب .

وبلغنا بيروت قرب الساعة السادسة بعد أن مررنا بمناظر ساحرة خلابة . لم نشعر بمر الساعات اذ كنا نجيل النظر فيما احتواه جبل لبنان وأنهاره الجميلة وغاباته البديعة وطرقه التى تحيط بها الحدائق الفتانة امتلأت بصنوف الفواكه والازهار وقد اشتهر بجودة هوائه فى الصيف ويأتى اليه كثير من أغنياء المصريين والسوريين والعراقيين يتمتعون فى مصايف برمانا وعين صوفر وبيت مرى وزحلة وعالية وضهور الشوير بطقسها البديع وهوائها العليل ويقضون فصل الصيف وسط غابات الصنوبر وينابيع المياه العذبة وكثير من المناظر الطبيعية الرائعة أو زيارة الآثار فى بعلبك أو نهر الكلب بالقرب من بيروت أو زيارة دمشق وضواحيها أكثر من ساعتين ونصف بالسيارة

والمرأة المسلمة فى لبنان لا تزال محافظة على الحجاب ويندر أن تجدها سافرة وبذلك تقضى وقتها فى عقر دارها . أما المرأة اليهودية والمسيحية فهى سافرة وتشارك الرجل فى اعماله فقد رأيت منهن البائعات فى المتاجر والعاملات فى المصانع ولا تفترق كثيرا عن اختها الاوربية فى

ملابسها واخلاقها

واللغة الفرنسيه منتشرة بين جميع السكان فى جبل لبنان وسوريا يتكلمها الشبان المثقفون وكثير من التجار ذلك لانتشار المدارس الفرنسية بها إذ انشأت الارساليات الدينية كثير من المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ويقدر بعضهم عدد المدارس الفرنسية فى سوريا ولبنان بأكثر من أربعمائة مدرسة

ولهم فى بيروت جامعة سان جوزيف التى تقوم بتعليم الطب والصيدله والهندسه والعلوم والاداب والحقوق ومعهد للدراسات الشرقية . وفى كلية الطب كثير من الطلبة المصريين اغلبهم من خريجى مدارس الفرير بمصر . وتأتى لجنة من اساتذة كليات الطب الفرنسية فى باريس وغيرها فى نهاية كل عام لامتحان الطلبة فى جميع سنى الدراسة

وينافس الامريكيون الفرنسيين فى نشر ثقافتهم فى هذه البلاد فأنشأوا الجامعة الامريكية التى تضم بين جدرانها اكثر من الف وخمسمائة طالب ويذهب اليها كثير من ابناء البلاد الشرقية من الفرس والعرب والمصريين والسوريين والعراقيين يدرسون بها الطب والعلوم والادب والفلسفة والزراعه والهندسة واغلب طلبتها فى القسم الداخلى وتشرف الجامعة على تربيتهم العلمية والاخلاقية خير إشراف

لهذا كانت بيروت مدينة جامعية كبيره وهى ميناء تجاري لا بأس به ويقومون بانشاء الارصفة كى ترسو عليها السفن و بذلك ينتظر ان تزداد اهميتها التجارية ازديادا كبيرا فى المستقبل القريب

وفى وسط المدينة ساحة البرج وفيها تمثال الشهداء تذكارا لقتلى سنة ١٩١٤ فى الحرب بين الفرنسيين والاتراك . وحديقة غناء مستطيلة بها احواض ونافورات للمياه وتحيط بهذه الساحة اكثر فنادق المدينة ومطاعمها ومقاهيها ودور السينما والمصارف والمتاجر ويتناول الطلبة طعامهم فى فندق صغير على ساحة البرج اسمه « زهرة الشرق » باشتراكات شهرية زهيدة رغم وفرة كمية الطعام التى يقدمها للآكلين و جودته و لا تجد فرقا كبيرا بين الوان الطعام فى لبنان و مصر

وشارع الكورنيش الجميل المسمى شارع الفرنسيين وتقع حوله احياء الطبقة الاوربية وثراة اهل بيروت به كازينو ومطعم الفونس والكيت كات والليدو وفندق سان جورج والبنسيونات والاندية والحانات للرقص و اللهو

وفى الطرف الجنوبى من هذا الميناء الكبير غابة واسعة من أشجار الصنوبر ويمر امامها شارع الملك فؤاد ويسكن هذا الحى ايضا كبار الاغنياء وهو وحى الزيتون وشارع الفرنسيين على شاطىء البحر هى أجمل احياء المدينة وابهجها

وجو بيروت حار جدا فى الصيف بين شهرى يونيه واكتوبر وهو فى الشتاء دافىء جميل . أما جبل لبنان فعكس ذلك فهو بارد جدا وكثير الرطوبة والامطار تغطيه الثلوج فى الشتاء ومناخه بديع فى فصل الصيف فالحرارة غير شديدة فى أثناء النهار وتشعر بالليل بنسيم رقيق منعش

دمشق

الطريق من بيروت الى دمشق طويل جدا يترك القطار بيروت فى الساعة التاسعة مساء فلا يصل دمشق قبل الساعة السابعة صباحا والسبب فى هذا البطء كثرة المرتفعات ووعورة الطريق فتراه بين صعود وهبوط تساعده على ذلك السلاسل الحديدية الموضوعة بين القضبان هذا بينما تقطع السيارة هذه المسافة فى ساعتين ونصف لهذا يفضل راغبو السفر الى دمشق الذهاب اليها رأسا بالسيارة

ودمشق عاصمة الجمهورية من أقدم مدن العالم قيل أن الملك سليمان هو الذى بناها وجعل منها عاصمة لملكه . ازدهرت فيها التجارة والصناعة منذ اقدم العصور لموقعها فى منتصف الطريق بين الشرق والغرب وكانت زهرة مدن الارض فى عصر الامويين

زرت سوقها المشهور فى حى السنانية فوقه سقوف مستديرة اتقاء حرارة الشمس وينتهى بجامع الامويين وهو من افخم المساجد الاسلامية وأتقنها بناءا زينت جدرانه بالفسيفساء باشكال يعجز القلم عن وصف جمالها وحسن رونقها وصحن المسجد متسع جدا لا يخلو من المصلين ومن الزائرين فى اى ساعة من ساعات النهار وقد نقش محراب الجامع بالنقوش العربية من ماء الذهب وشوارع دمشق ضيقة ملتوية ومنازلها تختلف عن غيرها من منازل اهل بلاد الشرق والغرب بوجود حديقة فى وسط المنزل اذا دخلت اليه الفيت أمامك نافورة وحوض جميل من الرخام وحوله أشجار الزهور

وجامعة دمشق الطبية هى أول كلية للطب تدرس فيها العلوم باللغة العربية . ثم التكية وجامع صلاح الدين تعلوه قباب المسجد وبداخله قبر . وفى وسطه حديقة جميلة وفى الطرف الثانى من الحديقة بناء كلية العلوم به مدرجات ومعامل للطبيعة والكيمياء وقد أقيم الى جانبه فى العام الماضى معرض دمشق الكبير اشتركت فيه مصر وشاهدنا به بعضا من معروضات بنك مصر هى موضع فخر المصريين . كنا جماعة من الطلبة المصريين ذهبنا لزيارة المعرض بعد انتهاء العام المدرسى وعند عودتنا الى مصر وقابلنا هناك زعيم مصر الاقتصادى طلعت باشا حرب وفؤاد باشا اباظة مدير الجمعية الزراعية الملكية وقد دعانا لزيارة أقسام بنك مصر فى دمشق وهو إلى يسار السوق وأنشط

أحياء المدينة التجارية .

وعند الساعة السادسة بعد ظهر ذلك اليوم أقيمت حفلة استقبال شائقة احتفاء برجل مصر العظيم وحامل لواء نهضتها الاقتصادية حضرها فخامة رئيس الجمهورية السورية ورئيس وزارتها وعظماء البلاد . وكان طلعت حرب باشا يأتي الى مائـدة الشاي التي وقفنا حولها يسألنا عن أحوال دراستنا ونالنا من نصائحه ورعايته واهتمامه بشؤوننا ما جعل من هذا اليوم السعيد يوما لا تنمحي ذكراه مدى الحياة

وبالقرب من دمشق ضاحية دمر الجميلة تغطيها الحدائق الغناء وتقع عند أسفل جبل شاهق تنفجر منه ينابيع المياه العذبة وبالقرب من كل نبع قهوة ومطعم يتمتع رواد هذه القهوة أنظارهم رؤية تدفق المياه من الصخور ويشربون من مياهه العذبه .

جورج وهبه العفي

فهرست

ص
٤ السفر الى باريس
٧ حياة الطالب فى باريس
١٥ حدائق التويلرى وصحف الوفر
١٨ الجران بولفار
٢٣ الرياضة البدنية
٢٥ الاعياد فى باريس
٢٩ قصور ومتاحف
٣٣ بير لاشيز ومغارة باريس
٣٥ باريس بلد المتناقضات
٣٧ ليالى باريس
٥٢ من باريس الى لندن
٤٤ دار البرلمان والمتحف البريطانى
٤٧ الحياة فى لندن
٥١ لندن فى الليل
٥٤ تور
٥٦ تور وضواحيها
٥٩ بواتييه
٦١ فيشى . ليون . الريفييرا
٦٥ نابلى
٦٨ السفر الى اثينا وبيرية
٧١ الاكروبول
٧٤ السفر الى بيروت
٧٨ دمشق

Widener Library
3 2044 114 055 163

OL
25065
750
(1937
Suppl.)

al-Majallah al-jadidah